دلالة المفردة القرآنية

بين مفسري التراث وأصحاب التأويل الحداثي

دراسة تأصيلية لغوية

إعداد
د/ مصطفى إبراهيم علي خيال
دكتوراه في العلوم اللغوية (أصول اللغة) كلية الآداب- جامعة طنطا

دلالة المفردة القرآنية بين مفسري التراث وأصحاب التأويل الحداثي

دراسة تأصيلية لغوية

مصطفى إبراهيم علي خيال
دكتوراه في العلوم اللغوية (أصول اللغة) كلية الآداب- جامعة طنطا.
البريد الإلكتروني : mostafakhial7@gmail.com

ملخص البحث:

أنزل الله - تعالى - القرآن هداية للناس أجمعين؛ لذلك كان الكشف عن دلالات مفرداته أمرًا بالغ الضرورة؛ لما يترتب على تحققه من نتائج محورية توصلنا إلى فهم مراد الله من كلامه؛ مما يُسْفِر عن وجه الإعجاز في القران، ويُحْكِم ما يُسْتَخْلَص من معانٍ إيمانية، وأحكام تشريعية، ومقررات يناط بها تشكيل أنماط حياة المؤمنين. ويهدف البحث إلى إبراز منهجية المفسرين واللغويين القدامى في كشف دلالة المفردة القرآنية مقارنة بأصحاب المدرسة الحداثية الذين انحرفت نظرتهم في فهم دلالات ألفاظ القرآن الكريم، فتجاوزوا المفاهيم اللغوية المقررة في فهم النصوص، وتجاوزوا قدسية هذا النص المحكم، فلم يُفرِّقوا بين النص البشريّ والنص القرآني، وجعلوهما في درجة واحدة من حيث القوانين. وللوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الدراسة استعنت بالمنهج الوصفي، والتحليلي، والنقدي. وخرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها: الغرض من وراء المناهج الحداثية ليس إلا نزع القداسة عن النص القرآني، وإحداث قطيعة كبرى مع التراث التفسيري بهضمه وإهالة التراب عليه؛ بحجة أن التراث حَرَّم على اللاحقين الفكر والإبداع، ومما أوقعهم في تلك المزالق الاستعانة بمناهج ليست عربية قائمة على فلسفات ونظريات غربية حديثة، متجاوزين الأدوات العلمية المسطَّرة عند أهل الاختصاص. وزعمهم بأن مفردات القرآن لا نهائية المعنى وغير محدودة الدلالة، وأنه يمكن لأي قارئ أن يضع المعنى وفق ما يراه مناسبًا؛ زعم باطل غير مستند إلى دليل، فالنص القرآني متجدّد العطاء متعدد الأفهام، بشرط أن تتوافق تلك المفاهيم مع مقاصد القرآن وقواعد التفسير وأصول اللغة العربية ودلالات الألفاظ. كما أثبتت الدراسة أن الضوابط التي وضعها اللغويين والمفسرون ليست تقييدًا لحرية التفكير والإبداع، وإنما هي تنظيم لعملية التعامل مع بيان دلالات المفردات، حتى لا يصير فهم المفردات فوضى لا يمكن ضبطها.

الكلمات المفتاحية: القرآن ،الدلالة ، المفردة ، التفسير ، الحداثة.

The Semantics of Qur'ānic Vocabulary Between Classical Exegesis and Modernist Hermeneutics: A Foundational Linguistic Study

Mostafa Ibrahim Ali Khayyāal.
PhD in Linguistic Sciences (Philology), Faculty of Arts, Tanta University, Egypt.
Email: mostafakhial7@gmail.com

Abstract:

God revealed the Qurʾān as guidance for all of humanity. Accordingly, uncovering the semantic range of its vocabulary is essential, for such understanding leads to clarity regarding the divine intent and reveals the inimitability of the Qurʾānic discourse. This in turn ensures accuracy in extracting theological meanings, legal rulings, and normative principles that shape the moral and existential frameworks of believers.

This study seeks to illuminate the methodological approaches employed by classical exegetes and philologists in determining the meanings of Qurʾānic vocabulary, in comparison with the perspectives of modernist interpreters. The latter, it is argued, have adopted a distorted approach to Qurʾānic semantics, disregarding established linguistic principles and undermining the sacred status of the Qurʾān by equating it with human texts and subjecting both to the same interpretive rules.

To pursue these aims, the research employs descriptive, analytical, and critical methodologies. Among its principal findings is that modernist interpretive frameworks ultimately aim to strip the Qurʾānic text of its sacred character and to sever the continuity with the classical exegetical tradition by discrediting and marginalizing it under the pretext that tradition stifles intellectual freedom and creativity.

This misdirection stems, in part, from reliance on non-Arabic methodologies rooted in contemporary Western philosophical and linguistic theories, while disregarding the interpretive tools developed by scholars of the

Islamic tradition. The claim that Qurʾānic vocabulary is semantically limitless and open to any meaning the reader deems appropriate is shown to be unfounded. While the Qurʾān indeed allows for a multiplicity of valid interpretations, such understandings must remain consistent with the objectives of the Qurʾān, the principles of tafsīr, and the established rules of Arabic philology and semantics.

The study concludes that the interpretive guidelines laid down by classical linguists and exegetes are not restrictions on thought or creativity, but rather a necessary framework that preserves coherence and prevents interpretive chaos in the analysis of Qurʾānic vocabulary.

Keywords: Qurʾān , Semantics , Vocabulary , Exegesis , Modernity.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للقلوب، ونورًا للدروب، أنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأبكمت فصاحته الفصحاء، وأسكتت حكمته الحكماء، فهو الحجة الباقية، والعصمة الواقية، والدلالة الدامغة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم على من كان خلقه القرآن، وعلى من أنزلت عليه سور القرآن، وعلى صاحب الحجة والبرهان، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم أجمعين ...أما بعد:

فقد نال تفسير القرآن الكريم، وتحليل مفرداته، وبيان أصولها، وإيضاح ما فيها من دلالات، وبيان قيمتها في إثراء المعاني التفسيرية، وكيفية الوقوف عليها، وبيان مظانّها ومصادرها التفسيرية؛ اهتمام المشتغلين بعلوم القرآن الكريم؛ ومع تقادم الزمان وانفتاح المجتمعات واختلاف الثقافات، ظهرت إشكالية تأويل مفردات القرآن من غير التزام بآليات الفهم وقواعد اللغة والتفسير، ونضجت هذه الإشكالية على أيدي أصحاب المدارس الحداثية المعاصرة المتأثرة بالغرب ومناهجه، فتعاملوا مع النص القرآني بعيدًا عن سمة القداسة التي يجب أن يتسم بها، وتعاملوا معه على أنه نص بشري قابل للنقد والتأويل دون قيد أو شرط، ضاربين عُرْض الحائط بكل الضوابط التي وضعها العلماء في فهم دلالات مفردات القرآن، ولذلك اتسم أصحاب التأويل الحداثي بالغموض الفكري والتضارب المنهجي وضحالة المعاني وصرف الدلالات عن المقصود.

أهمية الموضوع:

١- يكشف عن مفهوم الحداثة، وأهم الركائز التي تقوم عليها.

٢- يبين مدى مشروعية ما يسمَّى بالقراءة الحداثية للنص القرآني.

٣- يؤصل للضوابط التي يجب أن تتبع في فهم دلالات مفردات القرآن، والتي يمكن من خلالها الإبداع في توجيه الدلالة وإضافة المعاني المتجددة في كل العصور.

٤- يبين الآثار المترتبة على التأويل الفاسد المبني على تجاوز الأصول اللغوية المقررة في فهم النصوص.

أهداف الموضوع:

١- تعيين خصائص المفردة القرآنية.

٢- إبراز منهجية المفسرين واللغويين القدامى في بيان دلالة المفردة القرآنية.

٣- الكشف عن طريقة الحداثيين وأهم مرتكزاتهم في تأويل دلالة المفردة القرآنية.

٤- تفنيد أقوال الحداثيين، ورد شبههم، وبيان عورهم في باب الدلالات القرآنية.

إشكالية البحث:

يثير البحث عدة تساؤلات:

١- هل الضوابط التي وضعها المفسرون واللغويون في فهم دلالات مفردات القرآن تعد قيودًا على الأفهام، وقتلًا للإبداع الفكري؟

٢- ما مدى تأثر المدارس الحداثية بالغرب في فلسفته وثقافته وتأويله للنصوص؟

٣- هل مدرسة التأويل الحداثي يمكن اعتبارها إضافة علمية للدرس القرآني المعاصر؟

٤- هل تأويلات الحداثيين تبقي النص القرآني محتفظًا بصفة القداسة؟

٥- ما المزالق الخطيرة التي قد تقع من وراء عدم التفريق بين النصوص البشرية والنص الإلهي؟

منهج البحث:

للوصول إلى الأهداف المرجوة من هذه الدراسة استعنت بالمنهج الوصفي، والتحليلي، والنقدي، بالإضافة إلى الاعتماد على الأدوات التكميلية، وسلكت في هذه الدراسة عدة خطوات كانت على النحو الآتي:

١- عرضت أقوال علماء اللغة والتفسير، ثم قمت بتحليلها؛ للخروج بقواعد تحكم فهم دلالات مفردات القرآن.

٢- تناولت أقوال أصحاب التأويل الحداثي بالتحليل والنقد، وبينت الخلل في الشروط والضوابط التي وضعوها في فهم دلالات مفردات القرآن.

٣- اخترت من المفردات القرآنية الأمثلة الأكثر وضوحًا في العرض والتحليل.

٤- عزوت الأقوال إلى مصادرها، فذكرت اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الصفحة، دون ذكر بيانات المرجع أو المصدر أثناء كتابتها في الهامش، مكتفيًا بذكر بياناتها كاملة في فهرس المصادر.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

- المقدمة: تناولت فيها: أهمية الموضوع، وأهدافه، وإشكالياته، ومنهج البحث، وخطة البحث.
- المبحث الأول: دلالة المفردة القرآنية، ويشتمل على:
  - المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها.
  - المطلب الثاني: مفهوم المفردة القرآنية وخصائصها.
- المبحث الثاني: منهج مفسري التراث في بيان دلالة المفردة القرآنية، ويشتمل على:
  - المطلب الأول: مدارس التفسير واتجاهات المفسرين.
  - المطلب الثاني: مهارات تحليل دلالة المفردة القرآنية.
- المبحث الثالث: منهج أصحاب التأويل الحداثي في بيان دلالة المفردة القرآنية، ويشتمل على:
  - المطلب الأول: مفهوم التأويل الحداثي ومرتكزاته.
  - المطلب الثاني: أهم الانتقادات الموجهة إلى مدرسة الحداثة.
- الخاتمة: واشتملت على أهم نتائج البحث، وتوصياته.

المبحث الأول

دلالة المفردة القرآنية

المطلب الأول

مفهوم الدلالة وأنواعها

أولًا: الدلالة في اللغة:

"إبانة الشيء بأمارة تتعلمها"[(١)]. أو "ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١٤] .[(٢)]"وفي الصحاح للجوهري: الدلالة في اللغة مصدر دَلَّهُ على الطريق دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، في معنى أرشده[(٣)]. فالمعنى المحوري الذي يدور حوله المفهوم اللغوي لكلمة (دلالة) هو الإرشاد والإبانة والتسديد بأمارة لفظية أو غير لفظية.[(٤)]

ثانيًا: الدلالة اصطلاحًا:

"نفس الفهم" [(٥)]، أو "دراسة المعنى"[(٦)] ، أو ما يمليه اللفظ على ذهن السامع، وما يبعثه في تخيله وخاطره، وما يلقي به في خلده، أو هو المراد الذي يجوب داخل أحشاء اللفظ[(٧)]، وخلاصة القول: الدلالة هي فهم المعنى الذي يحمله اللفظ بين جنباته بحكم طبيعته المعجمية، والصوتية، والصرفية، والنحوية، والسياقية، والاجتماعية، والبلاغية.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٥٩/٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣١٧.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١٦٩٨/٤، بتصرف يسير.

(٤) دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ص٢٧، بتصرف.

(٥) تعريف ابن سينا، نقله الزركشي في البحر المحيط، ص٢٦٨.

(٦) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص١١.

(٧) ينظر: علم الدلالة، د. عبدالغفار هلال، ص١٣ ، ١٤.

أركان الدلالة:

من خلال التعاريف السابقة يمكن تحديد أركان الدلالة الأربعة وهي (المتكلم، والمخاطب، والدال، والمدلول) وهذه الأركان ترتبط فيما بينها برباط؛ بحيث لا يُمكن لأحدها الانفصال عن الآخر، وإلا ما وُجدت الدلالة، فلا تنفك العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى) مع مراعاة فعل المتكلم وفعل السامع، فالمتكلم يستعمل الدال لبيان المعنى المراد، والسامع يستعمل الدال للوصول إلى المراد فهمه، والكل يدور حول الدلالة. ولتحديد الدلالة الدقيقة وفهم المعنى كما يجب لا بد من دراسة هذه الأركان الأربعة.

ثالثًا: أنواع الدلالة:

١- الدلالة الصوتية:

هي "ما يؤديه الصوت من معنى داخل الكلام"[١]. وهذا ما يسميه علماء اللغة بالفنولوجيا أو علم وظائف الأصوات، على أساس أنه يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، ومن حيث إخضاع المادة الصوتية للتقعيد[٢]. وذَكَر ابن جني في كتابه (الخصائص) العديد من الأمثلة، مثل: (قَضَم- خَضَم)، فالفعل الأول يُقصدُ به: (أكل الشيء اليابس)، أما الثاني فهو: (أكل الشيء الرطب)، وقد أدى هذا الاختلاف في وُجود حرفي (القاف-الخاء) إلى اختلاف معنى الفعلين؛ لما يراه العرب في حرف الخاء أنه حرف (رخو ضعيف)، وأن حرف القاف حرف (صلب قوي) ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف .[٣] وهناك ظواهر صوتية لها دلالات خاصة منها:

أ- الإبدال الصوتي: إبدال حرف مكان حرف، يقول الزركشي: "من كلامهم إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: مدحه، ومدهه، وهو كثير... كما تقول العرب: فلق الصبح وفرقه"[٤].

(١) تحرير المعنى في القرآن الكريم، د. مصطفى إبراهيم خيال، ص٦٥.
(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص٦٧.
(٣) ينظر: الخصائص، ابن جني، ٦٦/١.
(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣/ ٣٨٨.

ب- **التكرار الصوتي:** وهو إعادة الصوت وترديده، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١)﴾ [الفجر: ٢١]. يقول الرازي: "اعلم أن التكرار في قوله: ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ معناه: دكًّا بعد دك، كقولك حسبته بابًا بابًا، وعلمته حرفًا حرفًا، أي: كرر عليها الدك حتى صارت هباء منثورًا"(١).

ج- **الحذف الصوتي:** وهو إسقاط حرف من الكلمة لغرض دلالي (٢) كما في قوله تعالى﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)﴾ [الكهف: ٩٧]، فالمتأمل يجد أنه قابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، فقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، وهو الصعود إلى أعلاه أسهل وأخف من قوله تعالى: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(٩٧)﴾ [الكهف: ٩٧]، فالنقب في جدار مصنوع من نحاس مصبوب، أثقل وأصعب بكثير من الصعود فوق هذا الجدار، لذلك قال في الصعود: (اسطاعوا) بحذف التاء، وفي النقب: (استطاعوا) بإثبات التاء، فقابل كلًّا بما يناسبه لفظًا ومعنى.

د- **الهمز:** يطلق على الهمز في العربية اسم النبر، جاء في لسان العرب: "النبر بالكلام: الهمز"(٣)، والهمز: صوت جهوري شديد(٤)، ومن الناحية اللغوية يقول ابن فارس: "الهاء والميم والزاي كلمة تدل على ضغط وعصر. وهمزت الشيء في كفي، ومنه الهمز في الكلام، كأنه يضغط الحرف"(٥). ومن ذلك كلمة ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾ [البلد: ٢٠] فيها قراءتان، الأولى: تحقيق الهمز، والثانية: تخفيفها. فالأولى: من آصد وأوصد بمعنى أغلق، والثانية: من الأصيد، والوصيد، وهو الباب المطبق، والواضح أن مؤصدة وموصدة اسما مفعول، بالهمز يعني الإغلاق، وبغير الهمز يعني الإطباق(٦).

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٣١/ ١٥٨.

(٢) تحرير المعنى في القرآن الكريم، د. مصطفى إبراهيم خيال، ص٧٥، بتصرف.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نبر)، ٥/ ١٨٩.

(٤) المختصر في علم أصوات اللغة العربية، د. محمد حسن جبل، ص٧٤، بتصرف.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (همز)، ٦٦/٦.

(٦) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٧١/٣١، ١٧٢، بتصرف.

هـ- الفاصلة القرآنية: هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وقرينة السجع، وهي فواصل متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني[١]، فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس رعاية للتناسق الصوتي فحسب، بل رعاية للمعنى أيضًا، وهذا هو ما يتفرد به القرآن الكريم[٢]. ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨)﴾ [المزمل: ٨] فالتبتل هو الانقطاع عن الناس والجماعات، وفي الفاصلة قال: تبتيلاً، ولم يقل: تبتلاً؛ لأن معنى تبتل: بتل نفسه، فجيء به على معناه؛ مراعاة لحق الفواصل[٣].

٢- الدلالة الصرفية:

هي التي تستفاد من بنية الكلمة وصيغتها. فعلم الصرف يتحدث عن التغيرات التي تحدث داخل بنية الكلمة، وهو ما يسميه علم اللغة الحديث (مورفولوجي)، والمادة التي تستخدم في التحليل الصرفي الحديث تسمى (مورفيم) وهو ما يعرف بالوحدة الصرفية[٤]، وتؤدي الوحدات الصرفية وظيفة مهمة في كشف معنى المفردة القرآنية، وتشكل هذه الوظيفة المرتبة الثانية في التحليل اللغوي، إذ تلي الوظيفة الصوتية، تعقبها الوظيفة النحوية...[٥]. وقد تنبه علماء العرب لهذه الدلالة، ففطنوا إلى أن ما تؤديه صيغة يمكن أن يختلف عما تؤديه صيغة أخرى، وذلك مثل صيغة (أفعل) فإنها تؤدي معاني لا تؤديها صيغة (فَعَّل). وهناك ظواهر صرفية لها دلالات خاصة منها:

أ- الزيادة الصرفية: حروف الزيادة الصرفية ثمانية مجموعة في قولهم (أنستُ يومًا)، ومن ذلك زيادة الصيغة الصرفية في (الحيوان) عن صيغة (الحياة) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. "الحيوان مصدر حي كالحياة، لكن فيها مبالغة ليست في الحياة، والمراد بالدار الآخرة هي الحياة الثانية، فكأنه قال الحياة الثانية هي الحياة المعتبرة، أو نقول: لما كانت الآخرة

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٥٣/١، بتصرف.
(٢) ينظر: الإعجاز البياني في القرآن الكريم، د. محمد داود، ص٨١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤٤/١٩، بتصرف.
(٤) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبدالفتاح البركاوي، ص١٢١، بتصرف.
(٥) المرجع السابق نفسه.

فيها الزيادة والنمو، كما قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وكانت هي محل الإدراك التام الحق"[(١)]، ويقول الزمخشري: "في بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، كالنزوان، والنغصان، واللهبان، وما أشبه ذلك. والحياة: حركة، كما أن الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة، مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضى للمبالغة"[(٢)].

ب- **المخالفة بين الأبنية:** لفظان أو أكثر مشتقان من جذر لغوي واحد، حقيقة المعنى فيهما واحدة، ولكن حدثت مخالفة في بناء أحدهما، لعلة تحقيق التمايز، واستقلال كل بنية بمعنى خاص[(٣)]، كما في قوله تعالى﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧)﴾ [القيامة: ٧]. قرئ (برق) بفتح الراء وكسرها، فرق الزجاج بين البناءين في القراءتين فقال: برق بصره بكسر الراء يبرق برقًا إذا فزع وتحير، وأما برَق بفتح الراء فهو من بَرَقَ يَبْرُقُ، مِنْ بَرِيق العَيْنَيْنِ، أي لمع من شدة شخوصه[(٤)].

ج- **التعريف والتنكير:** هي صيغ صرفية ذات دلالات مقصودة، فليس من الصدفة أن يُعَرّف الاسم أو يُنَكّر، فالمعرفة لها دلالة معينة، وكذلك النكرة لها دلالتها الخاصة، ومن الإضافات التي تدل عليها: التعميم، والتخصيص، والتعظيم، والتفخيم، والتكثير، وغير ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١] في هذه الآية الكريمة جاءت مفردة «الحسنة» معرَّفة بالألف واللام، ومفردة «سيئة» نكرة؛ لأن جنس الحسنة محبوب مألوف كثير الحصول لديهم، فالحسنات من صحة وخصب ورخاء ورفاهية متوالية ومعهودة، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولأنها شيء غير مألوف حلوله بهم[(٥)].

د- **دلالة الإفراد والتثنية والجمع:** الأصل في اللفظ المفرد والمثنى والمجموع أن يدل

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ٧٦/٢٥.
(٢) الكشاف، الزمخشري، ٤٦٣/٣.
(٣) المخالفة بين الأبنية، د. عبدالكريم جبل، ص١٠، بتصرف.
(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٢٥٢/٥.
(٥) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١٤٥/٢. والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٦٥/٩.

على ما وضع له، ومع ذلك استعمل القرآن هذه الصيغ وجعل بعضها مكان بعض، فقد يرد المفرد في سياق الجمع، أو الجمع في سياق المفرد، أو المثنى، وهكذا، فضلًا عن التبادل الحاصل بين صيغ الجمع بنوعيه، فقد ترد صيغة شائعة في جمع القلة مكان صيغة وضعوها لجمع الكثرة، أو العكس(١)، وهذه الظاهرة الصرفية، لها أثر دلالي داخل السياق القرآني، ومن أمثلتها: قوله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١]، حيث جاءت كلمة الطفل بصيغة المفرد، والمقام هنا يقتضي صيغة الجمع، بدليل عود الضمير في الفعل الذي أُسند إليه وهو ﴿يَظْهَرُوا﴾، فضلًا عن دلالة الجمع في ﴿الَّذِينَ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]، أفرد الطفل في كلا الموضعين؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس، وأنهم مشتركون وقتها في صفة واحدة وهي عدم وجود الشهوة الجنسية.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)﴾ [فصلت: ١١]. جاءت لفظة (طائعين) على صيغة الجمع، مع أنها تعود إلى (السماء والأرض) فالناظر يقول: هلا قيل: طائعتين على اللفظ، أو طائعات على المعنى؛ لأنها سماوات وأرضون؟ والجواب: لما جعلن مخاطبات ومجيبات، ووصفن بالطوع والكره، قيل: طائعين في موضع: طائعات، فالصيغة جاءت مذكرة على الجمع في موضع التأنيث؛ لتدل على أن السماء والأرض في سياق هذه الآية قد جعلتا عاقلتين؛ حيث إن تذكير الصيغة يقتضي جمعها جمع تصحيح، ولا يكون إلا للعقلاء، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤)﴾ [يوسف: ٤]، إذ جاءت لفظة (ساجدين) على صيغة جمع العقلاء مع الكواكب والشمس والقمر؛ لأنها قامت بالسجود، وهو من أفعال العقلاء(٢).

هـ- دلالة صيغ التذكير والتأنيث: التذكير والتأنيث في لغة العرب يخضع لقواعد مستفادة من سَنَن كلامهم، وينتظم بضوابط لا يستقيم الكلام بالخروج عنها،

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، ٥٨٢/٢، بتصرف.
(٢) ينظر: الكشاف، الزمخشري، ١٩٠/٤، تفسير الرازي،٤٥٨/٢٧.

وقد جاء القرآن الكريم على وفق معهود العرب في الكلام، فالقرآن الكريم نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)﴾ [الشعراء: ١٩٥]. وقد يأتي النظم القرآني بصيغة التأنيث في موضع التذكير والعكس، ولهذا العدول دلالة دقيقة داخل السياق القرآني، ومن أمثلة ما جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فـ(الموعظة) مؤنث، وجاء الفعل بصيغة التذكير، وتوجيه ذلك إما بالقول: إن لفظ (الموعظة) تأنيث مجازي، والتأنيث المجازي يجوز في فعله التذكير والتأنيث، وإما على تأويل (الموعظة) بمعنى (الوعظ)، فيكون التذكير هنا اعتبارًا للمعنى لا للفظ[(١)]، وأضيف: الموعظة هي القول الحسن المؤثر في النفوس، فجاءت على التأنيث لتفيد الرقة والجذب والاستمالة، فتكون أبلغ في التأثير.

٣- الدلالة النحوية:

المعنى المستنبط من خلال الموقع الإعرابي للمفردات داخل الجملة؛ حيث تُفهم الدلالة النحوية من العلامة الإعرابية، وعلاقات الكلمات ببعضها، ووظائفها، ومواقعها من الترتيب، وكذلك علاقات الجمل داخل النص. وهناك ظواهر نحوية لها دلالات خاصة منها:

أ- الإعراب: وظيفة الإعراب "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[(٢)]، فالإعراب يبين المعنى، ويميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين[(٣)]. واستخدم القرآن الكريم دلالة الإعراب على المعاني، فكان لها الأثر الكبير في فهم القارئ للمفردة القرآنية، وقد جاء بعض المعتزلة إلى أبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة -، وحاول تغيير حركة الإعراب في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)﴾ [النساء: ١٦٤]؛ لتوافق مذهبه، فقال له: اقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة (الله) على أنه مفعول وموسى فاعل؛ حتى يكون المتكلم هو موسى، وليس الله - سبحانه - قال: هبني قرأتُ ذلك، فما تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! وما تصنع بقوله تعالى:

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٢٩/١.
(٢) الخصائص، ابن جني، ٣٦/١.
(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ٣٠١، بتصرف.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؟! فبُهِت المعتزلي؛ لأنها صريحة في أن الله - تبارك وتعالى - هو المتكلم؛ يعني: أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل(١).

ب- **التقديم والتأخير:** لا تتقدم مفردة قرآنية على أخرى أو تتأخر إلا لغرض دلالي؛ وإفادة في المعنى على معنى العبارة، يقول عبد القاهر الجرجاني: "هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بك إلى لَطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أَن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"(٢). ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] قدم الأنفس على الأموال، وهي الأولى؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استامها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها ،فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية(٣). وأما تقديم الأموال في سورة الأنفال في قوله: ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢] فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال، فهو من باب السبق بالسببية. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] قدم الجبال على الطير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحَها أعجبُ وأدلُّ على القدرة، وأدخلُ في الإعجاز؛ لأنها جمادٌ، والطير حيوانٌ غير ناطقٍ(٤).

ج- **الحذف:** "لغة: الإسقاط، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه. واصطلاحًا: إسقاط

(١) اعتقاد أهل السنة، ابن جبرين، ٦/ ٨، بتصرف.
(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ١٠٦/١.
(٣) بدائع الفوائد، ابن القيم، ٧٨/١.
(٤) الكشاف، الزمخشري، ١٢٩/٣.

جزء الكلام أو كله لدليل"[١]، والحذف يكون للإيجاز، والتخفيف، أو للتفخيم، والإعظام، ولمعان أخرى[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، تقدير الكلام: خلطوا عملًا صالحًا بسيئ، وآخر سيئًا بصالح؛ لأن الخلط يستدعي مخلوطًا ومخلوطًا به، والمعنى: تارة أطاعوا، وخلطوا الطاعة بكبيرة، وتارة عصوا، وتداركوا المعصية بالتوبة[٣].

د- **مرجع الضمير:** تعيين مرجع الضمير يتوقف عليه فهم المعنى المراد، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب، ولكن قد يعود إلى غيره، كقوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ [الفتح: ٩] فالضمير في التعزير والتوقير راجع إلى النبي ﷺ وفي التسبيح عائد إلى الله وهو متقدم على ذكر النبي ﷺ فعاد الضمير على غير الأقرب. فالقاعدة المنضبطة في ذلك: "الأصل عود الضمير لأقرب مذكور إلا إذا وجدت قرينة على خلاف ذلك"[٤].

هـ- **معنى الأداة:** الأداة لها معنى وظيفي داخل التركيب النحوي، وتشترك الأدوات في وظيفة الربط بين المعاني النحوية داخل الجملة، ثم تختص كل أداة بمعنى معين، ويتوقف فهم النص على فهم معنى هذه الأداة داخل سياقها الذي تقع فيه، ومن المعاني التي تدل عليها الأدوات: النفي، والتأكيد، والاستفهام، والتحضيض، والتشبيه، والتعليل، والشرط، وغيرها... .[٥]ومن ذلك: الأداة (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام، وهي أداة استفتاح، يُستفتح بها الكلام، وتفيد التنبيه وطلب الشيء بلين ورفق، وتفيد مع التنبيه تحقق ما بعدها. و(أمَا) بفتح الميم المخففة، يُستفتح بها الكلام، وتفيد تنبيه السامع إلى ما يُلقى إليه من الكلام.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١٢٤/١.

(٢) المرجع السابق، ١٠٤/٣- ١٠٥، بتصرف.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣/ ١٣١، بتصرف.

(٤) ينظر: روح المعاني، الألوسي ٤/ ١٢٤، شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك، ٣٥٠/١.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص١٢٣-١٢٤، بتصرف.

٤- الدلالة المعجميّة:

هي دلالة الكلمة حال انفرادها والمسجلة في المعجم[١]، وتسمى أيضًا الدلالة المركزية، والأساسية، والمفهومية، والتصوّرية، وهي العامل الرئيسي للاتصال اللغوي[٢]. تنقسم الدلالة المعجمية للكلمات إلى الآتي:

أ- المتباين: وهو "ما كان لفظه ومعناه مخالفًا لآخر"[٣]، أو ما دل لفظه على معنى واحد، وهذا النوع ذكره ابن فارس في فقه اللغة، فقال: "باب الأسماء كيف تقع على المسميات: يُسمَّى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام؛ كرَجُل وفرس"[٤].

ب- الترادف: تقارب مفردتين أو أكثر في المعنى، ويقرر علم اللغة أن وقوع الترادف لا يعني التساوي التام بين معنى مفردتين، فليس في اللغة لفظ ينوب عن آخر أو يقوم مقامه إذا أردنا الدقة في التعبير عن المعنى، بل الترادف يكون بمعنى تقارب الدلالة، نحو: (الثناء - الحمد - الشكر- المدح) هذه ألفاظ ليست متساوية المعنى، بل بينها تقارب دلالي، أي: تشترك في معنى عام مع إبقاء كل لفظ على ملمح دلالي يميزه عن غيره[٥].

ب- المشترك: وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر[٦]، قال ابن فارس: "تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب"[٧]. ومثل: (رهوًا) في قوله تعالى: ﴿**وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤)**﴾ [الدخان: ٢٤]. قال الرازي: في الرهو قولان، أحدهما: أنه

(١) ينظر: المعنى اللغوي، د. محمد حسن جبل، ص١٧٦. والعربية وعلم اللغة الحديث، د. محمد اود، ص١٨٨.
(٢) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص٣٦.
(٣) التعريفات، الجرجاني، ص٢٠٠.
(٤) الصاحبي، ابن فارس، ص٥٩.
(٥) معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د. محمد داود، ص١٠، بتصرف.
(٦) المزهر، السيوطي، ٢٩٢/١.
(٧) الصاحبي، ابن فارس، ص٥٩.

الساكن، والثاني: أن الرهو هو الفرجة الواسعة [١].

ج- **الأضداد:** وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين، مثل: لفظ (القرء) يدل على الطهر والحيض، ولفظ (الظن) يكون بمعنى الشك وبمعنى اليقين[٢]، يقول ابن الأنباري صاحب كتاب الأضداد: "جاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر"[٣]، فقد يسجل المعجم للفظ معنيين متضادين، وهذا هو تنوع الدلالة المعجمية، أو تعدُّد المعاني للمُفردة الواحدة.

٥- الدلالة السياقية:

السياق لغةً: مأخوذ من الجذر (س و ق)، والمُساوَقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضًا[٤]. **الدلالة السياقية اصطلاحًا:** ما يدل على المعنى المقصود عن طريق مراعاة تتابع الكلمات والعبارات داخل النص، ومراعاة الظروف والملابسات الخارجية المحيطة بالنص[٥]. فالدلالة السياقية للمفردة تستنبط من السابق واللاحق وهو ما يسمى (السياق اللغوي) وتستفاد أيضًا من الأحداث المصاحبة للنص وهو ما يسمى (السياق الخارجي أو المقام). ومن أمثلته: في قوله تعالى: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا**﴾ [الزخرف: ٥] مفردة (الضرب) هنا لا يقصد منها المعنى المعروف، بل معناها: الترك والإعراض، بدليل اللاحق من السياق وهي قوله: ﴿**صَفْحًا**﴾ فهي مصدر معنوي لكلمة (نضرب)؛ والمعنى: أفنعرض عنكم إعراضًا[٦].

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي،٦٥٩/٢٧- ٦٦٠.
(٢) العين، الخليل، ١٥٢/٨، مادة: (ظنن). ولسان العرب، ابن منظور، مادة: (ظنن)، ٢٧٢/١٣.
(٣) الأضداد، ابن الأنباري، ص٢.
(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سوق)، ١٦٦/١٠، بتصرف.
(٥) ينظر: دلالة السياق، د. عبدالفتاح البركاوي، ص٢٦، ٢٧. دلالة السياق، درة الله بن درة بن ضيف الله الطلحي، ص٥٠.
(٦) ينظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، ص٣٩٥. معاني القرآن، النحاس، ٣٣٥/٦.

المطلب الثاني

مفهوم المفردة القرآنية وخصائصها

أولًا: المفردة في اللغة:

مأخوذة من فَرَدَ بمعنى انفرد[١]، وفي مقاييس اللغة: "الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة"[٢]، وجاء في لسان العرب: "الفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، وقيل: الفريد، بغير هاء، الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها"[٣]. فالمعنى المحوري للمفردة يدور حول التفرد والتميز، ولهذا آثر العلماء مصطلح المفردة دون "الكلمة"؛ حيث تفردت المفردة القرآنية بخصائص جعلتها متفردة على الكلمات خارج السياق القرآني.

ثانيًا: المفردة القرآنية اصطلاحًا:

"لفظة قرآنية متميزة في نظمها، لا يسد مسدها لفظ آخر، ذات دلالة مقصودة، وارتباط سياقي"[٤]. ويمكن القول بأنها: "لفظة قرآنية نُظمت في القرآن الكريم، فتفردت بموقعها، وتميزت بدلالتها" والسبب في تفردها وتميزها أنها تأخذ من جلال القرآن الكريم صورة ومعنى أروع وأنضر من ألفاظ العرب وكلامهم، فلذلك تختلف دلالة المفردة القرآنية عن دلالتها في التركيب المناظر في الكلام البشري. يقول ابن عطية الأندلسي: "كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"[٥].

ثالثا: خصائص المفردة القرآنية:

قبل مرحلة تحقيق معنى المفردة يجب أولًا أن نفهم خصائصها وسماتها التي يجب أن تفسر في ضوئها، ومن أهم الخصائص:

---

(١) مختار الصحاح، ص٢٣٦.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥٠٠/٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٣٣٢/٣.

(٤) الدرة المدنية في تحقيق علم المفردة القرآنية، د. المثنى عبد الفتاح، ص ١٤.

(٥) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٥٢/١.

١- روعة المفردة القرآنية في نفسها:

لقد نزل القرآن على أمة تهتم بشأن اللغة، وتقيم للكلمة وزنًا، فجاء القُرْآن متأنقًا في اختيار ألفاظه؛ حيث لا تجد في القرآن كلمة معيبة من حيث صورة اللفظ (حروفه، وحركاته، وسكناته)، ولا استعماله (موقعه، ودلالته)، فالقرآن يؤثِر استخدام الألفاظ القصار الثلاثية الأصول، أو الرباعية الأصول، والثلاثية فيه أوفر عددًا من الرباعية؛ ففي القرآن الكريم ألف وستمائة وأربعون أصلًا ثلاثيًّا يتفرع منها ما يزيد على خمسين ألف لفظة، وهي تزيد على نسبة ثمان وتسعين بالمائة من مفردات القرآن، وغير الثلاثي لا يزيد على ثمانمائة لفظة[(١)]، أما الألفاظ خماسية الأصول فهذه لم يرد منها في القرآن شيء؛ لأنه لا وجه للعذوبة في استعمالها، وقد يسبب استعمالها الثقل على اللسان، اللهم إلا ما كان من اسم عُرِّب ولم يكن في الأصول عربيًّا؛ كإبراهيم، وإسماعيل، وطالوت، وجالوت... ونحوها؛ ولا يجيء به مع ذلك إلا أن يتخلله المد كما ترى، فتخرج الكلمة وكأنها كلمتان.[(٢)] ولا تجد فيه لفظًا قلقًا مضطربًا أو نابيًا في موضعه؛ تحقيقًا لهذه الصفة - انتقاء الألفاظ وعذوبتها - فإن القرآن يعمد إلى تهذيب ما قد يُعاب من اللفظ، فالمفردة القرآنية يشهد الذوق بحسنها؛ لأنها هُذِّبت ووُضعَت وضعًا مُحْكمًا فيه.

ومن شواهد اختيار القرآن وانتقائه لألفاظه: أنه يكني عما يكون بين الرجل وزوجته بألفاظ غاية في الحسن والشرف. فمرة يكني عنه بالإتيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٣]. ومرة يكني عنه بالرفث، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٧]. وأخرى يكني عنه بالغشيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ**﴾ [الأعراف: ١٨٩]. وأخرى يكني عنه بالقرب، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وأخرى يكني عنه باللمس، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ [النساء: ٤٣]. وأخرى يكني عنه بالمسِّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾ [آل عمران: ٤٧]. وأخرى يكني عنه بالنكاح، وذلك

(١) ينظر: الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، د. فضل عباس، ص ٥٠٦.
(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم المطعني، ٢٤٦/١.

في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وأخرى يكني عنه بالمباشرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ومن مظاهر التهذيب في ألفاظ القرآن أن الكلمة تكون في غير القرآن ثقيلة مستوحشة، فتعذب وتستساغ في التركيب القرآني، من ذلك كلمتان بلغت حروف إحداهما عشرة أحرف وهي: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، والكلمة الأخرى بلغت حروفها تسعة أحرف وهي: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، فوقعتا في القرآن موقعًا عذبًا لا ثقل فيه ولا نبو، ومثلهما في غير القرآن ثقيل على اللسان ناب في السمع.

٢- التناسب اللفظي والمعنوي:

ويقصد به تناسب الأصوات في حروفها (التناسب الصوتي)، وتناسب هذه الحروف في كلماتها (التناسب الصرفي)، وتناسب هذه الكلمات في الجمل والعبارات (تناسب النظم أو التركيب) شكلًا ومعنًى، ومن هذا مفردة ﴿يصطرخون﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر:٣٦، ٣٧] فقد تناسبت أصوات الكلمة مع حروفها؛ إذ اجتمع في (يصطرخون) ثلاثة أصوات مفخمة: الصاد، والطاء المنقلبة عن تاء افتعل، والخاء، فأصبح الفعل يحاكي أصداء صراخهم من دوي وصخب عالٍ دل عليه التفخيم في أصوات الفعل، وأما تناسب الحروف فجاءت على صيغة (يفتعلون) من الافتعال الدال على المبالغة في الصِّياح بشدة وجهدٍ، وتناسبت الكلمة مع المفردات في السابق واللاحق (كفروا - نار - جهنم - يقضى - فيموتوا - ولا يخفف -عذابها - كفور- أخرجنا) وكلها ألفاظ شديدة تناسبت مع (يصطرخون) شكلًا ومعنى.

٣- الجرس الصوتي:

هو "أن يأتي مسموع الأصوات على حذو محسوس الأحداث"[(١)]، ومن أوائل الذين تنبهوا اليها من القدماء ابن جني(ت: ٣٩٣هـ)، في قوله: "كثيرًا ما يجعلون

(١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد زكي شادي، ص ٢٨ .

أصوات الحروف على سَمْت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها"[(١)]، وقال في موضع آخر: "فإن كثيرًا من هذه اللغة وجدْته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها، ألا تراهم قالوا: قِضم في اليابس، وخِضم في الرّطْب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[(٢)]. وبمحاكاة الأصوات تنساب إلى نفس السامع نغمات تصاحبها دلالات، فإن كانت الأصوات عنيفة قوية ناسبها مقام الترهيب والوعيد وما أشبه ذلك، وإن كانت أصوات رقيقة عذبة ناسبها مقام الترغيب والتبشير، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ [النازعات: ٨] أي: خائفة، لكن (واجفة) لها جرس صوتي مختلف؛ حيث تميزت بحرفي (الواو والجيم) يقابلهما (الخاء والهمزة) في خائفة، فالواو تدل على الخفة، والجيم تدل على الاضطراب، والملحظ الصوتي ليس منعزلًا عن الملحظ الدلالي؛ فـ(واجفة) في هذا السياق أكثر دلالةً وإيحاء من (خائفة)، وبالإضافة إلى معنى الخوف فإنها تدل على (السرعة والاضطراب) فـالوجيف سرعة السير وأوجفتُ البعيرَ أسرعته، قال تعالى: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: ٦]،... قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)﴾ [النازعات: ٨] أي: مضطربة[(٣)]، كما أنها انسجمت مع الفواصل السابقة ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)﴾ [النازعات: ٦-٧]، وعبّرت عن الاضطراب وسرعة الوقوع والتتابع فلو قيل: (خائفة) بدلًا من (واجفة) لما انسجمت من الناحية الصوتية معاني سابقاتها ولما اتسقت معها، وبهذا تكون (واجفة) أولى في الاستخدام.

٤- الدقة البيانية:

تدقيق التعبير عن معنى مفردة قرآنية، يكون تام الدقة، والقوة، والطبيعة، والصدق، والوضوح، والتـميُّز، حتى لا يلتبس بغيره، فكل مفردة في موضعها لا غنى عنها ولا عوض منها، فقد وضعت في الموضع الذي أُعد لها وهندس عليها. ومن

(١) الخصائص، ابن جني، ٢ / ١٥٩.
(٢) المرجع السابق، ١ / ٦٦.
(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٨٥٧.

ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] فقد آثر القرآن مفردة (الاستواء) على غيرها، ولم يقل: ثبتت أو رست أو استقرت؛ لأن مفردة الاستواء تدل على معنى لا يدل عليه أي كلمة أخرى، فالاستواء يدل على الاستقرار والرسو والثبات المطمئن مع اعتدال الوضع، جاء في لسان العرب: "سَاوَى الشيءُ الشيءَ إذا عادَلَه، وساوَيْتُ بين الشيئين إذا عَدَّلْتَ بينِهما وسَوَّيْت"(١). أما الرسو والاستقرار والثبات فلا يشترط في أي منها وضع الاعتدال؛ كأن ترسو السفينة أو تستقر أو تثبت وهي منكسة مثلًا على الشاطئ. والرسو والاستقرار والثبات المعتدل الوضع هو المعنى المطلوب في جانب نجاة المؤمنين من الهلاك وسلامتهم من الطوفان؛ لذلك كان إيثار مفردة (الاستواء) على غيرها أدق في التعبير، وأوضح في الدلالة، وأنسب لمقتضى الحال، حتى يعلم المخاطبون كيف صنعت عناية القادر بعباده المؤمنين(٢).

٥- التنوع الدلالي:

أن تأتي المفردة بدلالات متنوعة وكلها مقبولة؛ لأنها مندرجة تحت المعنى العام(٣). ويسميه البعض بالتعدد الدلالي أو الاحتمال الدلالي، ويشير إلى قدرة المفردة على التعبير عن أكثر من وجه محتمل من وجوه المعنى، وتتنوع الدلالة بسبب عدة عوامل، بعضها يتعلق بالمفردة ذاتها، والآخر يتعلق بالملابسات الخارجية التي وردت فيها، فمن العوامل المتعلقة بالمفردة ذاتها: المستوى المعجمي، فقد يدل اللفظ الواحد على معنيين مختلفين، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي، وقد يدل على معنيين متناقضين مع انعدام القرينة الدالة على الوجه المراد، وهو ما يسمى بالأضداد، والمفردة في مستواها النحوي قد تتشكل من تراكيب نحوية غامضة ينتج عنها أكثر من معنى محتمل، وفي مستواها الصرفي قد ينتج عن الصيغة الصرفية أكثر من معنى محتمل (المشترك الصيغي)، أما العوامل المتعلقة بالمستوى الخارجي، فإن هناك مجموعة من العناصر الخارجية التي قد تؤثر في إنتاج الدلالة وتغيرها، وبالتالي في إنتاج التعدد والاحتمال، منها: المتكلم، والمخاطب، علاقة المتكلم

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤١٠/١٤. مادة (سوا).
(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ٣٦١/١، بتصرف.
(٣) تحرير المعنى في القرآن الكريم، د. مصطفى إبراهيم خيال، ص١١٦، بتصرف.

بالمخاطب، أجواء الخطاب، زمان الخطاب ومكانه، والملابسات الخارجية التي قيلت فيها، والافتراضات السابقة، وسياق التواصل الخاص، والمعلومات المتاحة لدى طرفي الاتصال[١].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)**﴾ [المدثر: ٥٠-٥١]، فلفظ (القسورة) مشترك بين (الرامي) و(الأسد)، وحمر الوحش إذا رأت الرامي فرت، والحمر الأهلية إذا رأت الأسد فرت، واللفظ صالح للمعنيين؛ فيُحمل على المعنيين جميعًا. ومن هنا يتضح أن المفردة القرآنية تمتاز بالمرونة والغنى؛ بحيث ترى للكلمة الواحدة عدة معان، لا تنكرها اللغة بحسب الوضع، ولا يرفضها الدين من حيث العمل والاعتقاد[٢].

---

(١) الاحتمال الدلالي قراءة في مسالك التأويل القرآني، د. سعد محمد صبري، ص١، بتصرف.
(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ٣٦٨/١، بتصرف.

المبحث الثاني

منهج مفسري التراث في بيان دلالة المفردة القرآنية

المطلب الأول

مدارس التفسير واتجاهات المفسرين.

أولًا: مدارس التفسير:

انقسم المفسرون في بيان معاني مفردات القرآن إلى مدرستين:

١- مدرسة التفسير بالمنقول (المأثور):

واتجه أصحابها إلى بيان معاني مفردات القرآن بما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول ﷺ، وما نُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم[(١)].

وأهم الكتب المؤلفة في هذا النوع: جامع البيان في تفسير القرآن: لابن جرير الطبري (ت: ٣١١هـ) - بحر العلوم: لأبى الليث السمرقندي (ت: ٣٧٥هـ) - الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأبى إسحاق الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) - معالم التنزيل: لأبى محمد الحسين البغوي (ت: ٥١٦هـ) - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤١هـ) - تفسير القرآن العظيم: لأبى الفداء الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن الثعالبي (ت: ٨٧٦هـ)- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ).

٢- مدرسة التفسير بالمعقول (الرأي):

وقد اتجه أصحابها إلى بيان معاني القرآن بالنظر والاجتهاد، وذلك بعد معرفة المفسر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته

(١) التفسير والمفسرون، الذهبي ، ١١٢/١، بتصرف.

بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر[١].

ومن أهم الكتب العامة لمدرسة المعقول: (مفاتيح الغيب: للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي (ت: ٦٩١هـ) - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (ت: ٧١٠هـ) - لُباب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (ت: ٧٤١هـ) - البحر المحيط: لأبي حيان (ت: ٧٤٥هـ) - غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للنيسابوري(ت: ٧٢٨هـ) - تفسير الجلالين: للجلال المحلي(ت: ٨٦٤هـ) ، والجلال السيوطي(ت: ٩١١هـ) - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (ت: ٩٨٢هـ) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي(ت: ١٢٧٠هـ).

لقد اهتم المفسرون واللغويون على اختلاف مدارسهم بالمفردة القرآنية اهتمامًا بالغًا في كتبهم؛ حيث وضعوها تحت مجموعة من المصطلحات العلمية، ويحمل كل مصطلح منها وصفًا خاصًّا ونوعًا محددًا من أنواع المفردة القرآنية، وسأجمل بيانها في الأسطر الآتية:

أ- غريب القرآن:

"هي الألفاظ التي يخفى معناها ويدق على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معينة؛ بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير المعنى الذي وضعت له"[٢]. ودائرة الغريب تتسع من عصر إلى عصر؛ بسبب ضعف ملكة البيان، واستعجام اللسان كما أن الاتصال باللغة العربية لغة القرآن الكريم هذه الأيام اختصت بها طائفة من الناس، وعني بها علماء وأدباء، وبذا اتسعت دائرة غريب القرآن الكريم. وأول ما وصلنا في الغريب مسائل نافع بن الأزرق (ت: ٦٥هـ)، فقد بلغت قريبًا من مائتي مفردة من غريب القرآن، ثم اتسعت الكتب التي تناولت الغريب، منها: كتب معاني القرآن للفراء (ت: ٢٠٧هـ) وغيره، وفيها أكثر مما ورد في مسائل نافع بن الأزرق.

وفي العصر الحديث كتاب(كلمات القرآن) لحسنين مخلوف (ت: ١٤١٠هـ)

(١) المرجع السابق، ١٨٣/١، بتصرف.
(٢) معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، ص ١٩٧.

وهو أكثر بكثير مما ورد في كتب معاني القرآن، وهذا التفاوت الكبير والبون الشاسع في الغريب من عصر إلى عصر مرده إلى ضعف الملكة اللغوية. ولقد اتجه العلماء في تفسيرهم لغريب القرآن الكريم إلى منحيين:

الأول: تفسير غريب القرآن الكريم حسب وروده في المصحف، وذلك باستعراض غريب كل سورة على حده، ومثّل هذا الاتجاه الفراء (ت:٢٠٧هـ) في (معاني القرآن)، وأبو عبيدة (ت:٢٠٩هـ) في (مجاز القرآن)، وابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) في (غريب القرآن)، وحسنين محمد مخلوف(ت: ١٤١٠هـ) في (كلمات القرآن) وغيرهم كثير.

الثاني: تفسير غريب القرآن الكريم حسب ترتيب كلماته وفق حروف المعجم، ومثل هذا المنحى السجستاني (ت:٣٣٠هـ) في (نزهة القلوب)، والهروي (ت:٤٠١هـ) في كتاب (الغريبين)، والراغب الأصفهاني (ت:٤٢٥هـ) في (المفردات)، والسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) في (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، و د. محمد حسن جبل (ت: ١٤٣٦هـ) في (المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن) وضم هذا المعجم الألفاظ القرآنية كلها.

ومنشأ الغرابة في ألفاظ القرآن الكريم؛ كان بسبب وجود ألفاظ غريبة من بيئة مكانية غير البيئة الحجازية، مثل: كلمة (تخوف) من لغة هذيل، ومعناها: التنقص، ومثل: كلمة (أغطش) من لغة أنمار، ومعناها: أظلم. ومن أسباب الغرابة؛ نقل اللفظ إلى معنى اصطلاحي جديد، وهذا في الألفاظ الإسلامية الدالة على شعائر الإسلام الجديدة، نحو: الصلاة، والحج، والزكاة. ومن أسباب الغرابة أيضًا؛ استعمال اللفظ في غير المعنى الذي له بقرينة دالة، ويكون ذلك في العلاقات المجازية، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]؛ أي: مطرًا يُسبِّب الرزق.

ب- الوجوه والنظائر:

علم يهتم بالمفردة القرآنية ذات المعاني المتعددة، وهو أحد السبل المُعينة على الوصول إلى المعنى الصحيح لمفردات القرآن، وعرفه الزركشي (ت:٧٩٤هـ) بقوله: "الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان؛ كلفظ الأمة، والنظائر

كالألفاظ المتواطئة"[1]. والفرق بينهما أن الوجوه تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق المختلفة في المعنى، ومن الوجوه مفردة (السوء) فإنها تأتي على أوجه عديدة منها: الشدة: كما في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]. والعَقْر: كما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ [الأعراف: ٧٣]. والزنا: كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: ٢٥]. والبرَص: كما في قوله تعالى: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [طه: ٢٢]. والعذاب: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧] [2] ويدخل تحت هذا النوع: المشترك اللفظي، والأضداد.

أما النظائر فتتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق والمعنى معًا، ولكن هذا المعنى يصلح لأفراد كثيرة مثل: (القرية) تكررت في القرآن في أكثر من خمسين موضعًا، وفي كل هذه المواضع معنى القرية واحد، لكن المراد منها يختلف، فمثلًا: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] المقصود بالقرية هنا: أريحا أو القدس. وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥] المقصود بالقرية هنا: مكة. وفي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] المقصود بالقرية هنا: مصر. وهذا من أنواع الإعجاز القرآني؛ حيث إن الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهًا أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر. وقد صنف فيه قديمًا مقاتل بن سليمان (ت:١٥٠هـ)، وجمع فيه من المتأخرين ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) وسمي كتابه الأفراد، والدامغاني (ت: ٤٧٨هـ)، وابن الزاغوني (ت: ٥٢٧هـ) وابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

ج- المؤتلف والمختلف:

وهو ما اتفق لفظه واختلف نطقه، مثل: (سِخْريا وسُخْريا)، فالأولى بمعنى الاستهزاء ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)﴾ [المؤمنون: ١١٠]، والثانية بمعنى الخدمة في الأعمال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ١٠٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ١٤٧.

٣٢] .ومن ذلك أيضًا: (بَعِدت وبَعُدت) الأولى بمعنى الهلاك، والثانية بمعنى المسافة.

د- المصطلح القرآني:

"كل لفظ قرآني عبرَّ عن مفهوم قرآني"[١]، أو "كل لفظ دلَّ على مفهوم قرآني خاص لم يكن متداولًا عند العرب قبل نزول القرآن الكريم"[٢] فمفهوم المصطلح القرآني يطلق على كل مفردة قرآنية اكتسبت من السياق القرآني خصوصية دلالية، وأصبحت تعبر عن مفهوم قرآني خاص. وقد أحدثت هذه المصطلحات القرآنية طفرة مفهومية، فظهر ما سُمي بالتخصيص أو تضييق المعنى، والتوسع الدلالي، وظهرت أسماء أخرى لم تعهدها العرب في كلامها، مثل مصطلح (جاهلية)، فلا يوجد لهذا المصطلح مثيل قبل نزول القرآن الكريم، وهي صيغة أوجدها القرآن الكريم، وانتشرت فيما بعد لتكون عَلَمًا على الفترة التي سبقت نزول القرآن، وهو مستمد دلالته من الجهل بمعنى السفه والطيش والحمية الزائفة؛ للتعبير عن الحياة التي كان يحياها الإنسان في العصر الجاهلي، وليس من قبيل الجهل ضد العلم.[٣]

هـ - الفرائد:

أي المفردة التي لم تأت في القرآن إلا مرة واحدة، ولم يشتق من جذرها اللغوي مفردات أخرى، وهذا مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد - وهي الجوهرة التي لا نظير لها - تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته؛ بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها ، ومنه لفظ: (حصحص) في قوله: ﴿**الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ**﴾ [يوسف: ٥١]، ومنه لفظ (ضيزى) في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)**﴾ [النجم: ٢٢][٤]. ومن المؤلفات التي جمعت الفرائد: (معجم الفرائد القرآنية: د. باسم سعيد البسومي) و (مقدمة في فرائد القرآن: د. نصر سعيد عبد

(١) دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، ص٢٠.
(٢) جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني المسار والمصير، فريدة زمرد، ص٥٥١.
(٣) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة، ص١٤٩- ١٥٠، بتصرف.
(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،٣١٩/٣، بتصرف يسير.

المقصود) و (الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية، د. عبد الله سرحان).

و- المعرب:

كلمة أصولها أعجمية، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال: إنها أعجمية فصادق[(١)]. وهذا مذهب أبي عبيد القاسم ابن سلام (ت:٢٧٤هـ)، ونقل عن ابن عباس(ت:٦٨هـ) في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل، قالوا: نشأ[(٢)]. وعن عكرمة (ت:١٠٥هـ) في قوله: (هيت لك) قال: هلم لك، قال: هي بالحورانية[(٣)]، ولعل أول مؤلف في هـذا المجال هو كتاب (اللغات في القرآن الكريم) لابن عباس، وكتاب المعرب من كلام العرب على حروف المعجم للجواليقي (٥٤٠ هـ)، كما أفرد الإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ) في ذلك كتابا سماه (المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)، وساق فيه خلاف العلماء في ذلك، وأن الأكثرين ومنهم الشافعي (ت: ٢٠٤)، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (ت: ٢٠٩)، والطبري (ت:٣١٠)، وابن فارس (ت: ٣٩٥)، وأبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣) إلى عدم وقوع ألفاظ غير عربية، وشدَّد الشافعي النكير على القائل بغير ذلك، ولا يُقدَح في عروبة القرآن على كلا القولين، فمن يقول بعدم وقوع الألفاظ الأعجمية فالأمر واضح، ومن يرى وقوعها يقول: إنها نادرة، واستخدمتها العرب في كلامها فسارت مُعرَّبة، وأن المقصود بلسان العرب ما نطقت به العرب في كلامها فعربته وألحقته بأبنية كلامها.

ز- الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: هي كل لفظ بقي على موضوعه، ولا تقديم فيه، ولا تأخير، وهذا أكثر الكلام[(٤)]. وهي ثلاثة أنواع كما يأتي[(٥)]:

(١) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، السيوطي، ص٦٥، بتصرف يسير.
(٢) تفسير الطبري، ١٣/١.
(٣) المرجع السابق، ٢٦/١٦.
(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي،٣١٩/٣، بتصرف يسير.
(٥) دراسات أصولية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص٢٢٦-٢٢٧. بتصرّف.

١- **الحقيقة اللغوية:** استعمال اللفظ في المعنى اللغوي الذي وضع له، ومثال ذلك: الشمس، والقمر، والسماء، والأرض.

٢- **الحقيقة الشرعية:** الألفاظ التي تُستعمل في معناها الشرعي، ومثال ذلك الصلاة، إذ تُستخدم هذه اللفظة للدلالة على العبادة المعروفة، والزكاة للدلالة على وهب مبلغ معين من المال.

٣- **الحقيقة العرفية:** وهذا النوع من الألفاظ يُستخدم في معانيه العرفية، أي: المتعارف عليها بين الناس، سواء كان العُرف عامًا كاستخدام لفظة الدابة للدلالة على الحيوانات التي تمشي على أربعة أرجل، أو استخدامًا خاصًّا كما في النحو من ألفاظ، مثل: النصب، والجر، وغير ذلك مما يتعارف عليه النحاة، أو ما يستخدمه علماء المنطق من ألفاظ مثل: الجوهر والعرَض.

والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير موضوعه الأصلي على وجه يصح، وينقسم المجاز بحسب العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى الجديد إلى: المجاز المرسل، والاستعارة؛ فإن كانت العلاقة بينهما علاقة تشبيه فهو استعارة، وإن كانت العلاقة شيئًا آخر كان مجازًا مرسلًا، وتقديم المعنى الحقيقي على المجازي هو الأصل، فلا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر تفسير المفردة بالمعنى الحقيقي. ومن ذلك: مادة (كتب)؛ حيث وردت في القرآن على المعنى الحقيقي، كما في قوله: ﴿**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ**﴾ [البقرة: ٧٩]، وقد وردت على المعنى المجازي بصور شتى، منها: بمعنى الفرض، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٣]. وبمعنى الحلال، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [البقرة: ١٨٧]. وبمعنى التثبيت، ومنه قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾ [المجادلة: ٢٢]. وبمعنى التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ [التوبة: ٥١]. وبمعنى الجعل، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)**﴾ [المائدة: ٨٣]. وبمعنى التخصيص، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وبمعنى الإملاء، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**

اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥)﴾ [الفرقان: ٥]. وبمعنى الإحصاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢][1].

ثانيًا: اتجاهات المفسرين:

ويُقصد بها طرق المفسرين واتجاهاتهم التي ساروا عليها والتزموها في تفسير القرآن، وهذه الاتجاهات هي:

أ- الاتجاه البياني: الذي يهتم بفصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني.

ب- الاتجاه الفقهي: الذي يشمل الأحكام والتشريعات السياسية والاجتماعية.

ج- الاتجاه العقدي: الذي يهتم بتفصيل مسائل العقيدة المتعلقة بـ(الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر) كما يُبين عقائد أصحاب الملل وطرق محاورتهم ودفع أباطيلهم.

د- الاتجاه العلمي: الذي يبحث في آيات القرآن عن إشارات لقضايا العلوم الكونية ودقائقها.

هـ- الاتجاه الموضوعي: الذي يجمع الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد ويتناولها بالشرح والبيان.

و- الاتجاه الحداثي: الذي تبنى لغة جديدة في قراءة وتفسير التراث الإسلامي، تستورد مصادرها الفكرية من المكتبة الحداثية الغربية وتُصدّرها إلى القارئ العربي، وسأتناول هذا الاتجاه في المبحث القادم.

---

(١) للاستزادة ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ٣٥٧/٢.

المطلب الثاني

مهارات تحليل دلالة المفردة القرآنية.

قبل الدخول في مهارات تحليل دلالة المفردة لا بد أن نتعلم قاعدة مهمة ذكرها ابن القيم في بدائع الفوائد فيقول: "للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفة والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه" .[1]

وبيان دلالة مفردات القرآن يدور على ثلاثة أحوال:

- **الحال الأول:** تفسير على اللفظ، ويقصد به النظر في الدلالات اللغوية.
- **الحال الثانية:** تفسير على المعنى، ويقصد به النظر في المعنى المراد.
- **الحال الثالثة:** تفسير على الإشارة، ويقصد به النظر في المعاني الباطنة.

وكل هذا لا بأس به ما دام التفسير لم يخالف أربعة شرائط وهي:

الأول: أن لا يناقض معنى الآية، ولا يخالف مقاصد القرآن.

الثاني: أن يكون معنى صحيحًا في نفسه، فلا يخرج عن المعاني المعروفة عند العرب.

الثالث: أن يكون في اللفظ إشعار به، أي إشارة إلى هذا المعنى.

الرابع: أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم وهو ما يعرف بالاتساق السياقي.

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، ٢٨/٣.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا، وإن خرج التفسير عن هذه الأمور كان شططًا من القول[1].

للوصول إلى تفسير مفردات القرآن، واستنباط المعنى الدقيق، لا بد من اتباع عدة مهارات وخطوات بحثية يجب تطبيقها، وهي:

١- الاستقراء: أي تتبع المفردة في القرآن والمفردات التي تشترك معها في ذات الجذر وجمعها وضمها إلى بعض.

٢- بيان معني المفردة بما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل.

٣- بيان معنى المفردة بما نقل عن رسول الله ﷺ.

٤- بيان معنى المفردة بما ورد عن الصحابة والتابعين وضم الأقوال بعضها إلى بعض.

٥- بيان معنى المفردة بمقتضى اللغة، وهذا يقتضي النظر في الأصل الاشتقاقي للمفردة وتحليل العلاقات الاشتقاقية.

٦- بيان المعنى عن طريق السياق اللغوي، والسياق الخارجي (الأحداث المصاحبة).

٧- بيان المعنى عن طريق النظر في الدلالات (الصوتية - الصرفية - النحوية - المعجمية).

٨- بيان المعنى عن طريق الفروق الدلالية بين المفردة ومرادفاتها.

٩- بيان المعنى عن طريق التغير الدلالي للمفردة عبر الزمن.

١٠- بيان المعنى عن طريق النظر في الاستعمال القرآني.

١١- بيان المعنى عن طريق النظر في المعاني البلاغية، والبحث عن النكات، واللطائف، والتنبيهات، والمناقشات، والتساؤلات، والأجوبة، التي وردت في بطون الكتب، ففيها أسرار وفتوحات تفتح ذهن الباحث لاستنباط المعاني، والوصول إلى أسرار الإعجاز في المفردة القرآنية.

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، ص٧٩، بتصرف.

المبحث الثالث

منهج أصحاب التأويل الحداثي

المطلب الأول

مفهوم التأويل الحداثي ومرتكزاته

أولًا: مفهوم الحداثة لغة واصطلاحًا:

لغة: مصدر للفعل حَدَثَ يَحْدُثُ حُدُوثًا وحَدَاثَةً، وفي مقاييس اللغة: "الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون شيء لم يكن"[(١)]، ومن أهم معانيه اللغوية الواردة في المعاجم : (الجديد، حديث السِّن - قرب العهد - الكلام والخبر- الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد)[(٢)]. فالحداثة لفظة عربية أصيلة، ولكنها انتقلت من المعنى اللغوي المعهود في خطاب العرب إلى معنى اصطلاحي جديد مدلوله دخيل على اللغة العربية، ورد إلينا من الغرب، ويكثر استعماله في هذه الآونة بين بعض المثقفين من العرب.

اصطلاحًا: «حركة تفكيكية تستمد معناها وقُوَى دفعها من رفض أو نفي ما حدث قَبْلًا»[(٣)]، وعرفها جيف فاونتاين بأنها «سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساسًا لفكرة الشك الديني وعدم الاعتقاد بصحة الكتب المقدسة»[(٤)]، وعرفها هنري لوفيفر: «عبادة الجديد من أجل الجديد»[(٥)]. وتعريفها عند الحداثيين العرب من خلال ما فهمته من مناهجهم وكتبهم: "هدم التراث وإقامة تفسير جديد ليس له قواعد ولا حدود". قام الحداثيون العرب بتبني هذا المنهج القائم على فلسفات ومذاهب غربية حديثة، وحاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم، متجاوزين

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٦/٢.
(٢) ينظر: مختار الصحاح، ص٨٠. ولسان العرب، ابن منظور، ١٣١/٢.
(٣) الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم، العجلوني، نايف خالد، ص٤٧.
(٤) جيف فاونتاين، نقلا من كتاب: ما بعد الحداثة، لباسم عليّ خريسان، ص٤٧.
(٥) هنري لوفيفر، نقلا من كتاب: ما بعد الحداثة، لباسم عليّ خريسان، ص١٥.

الأدوات العلمية التفسيرية المسطَّرة عند أهل الاختصاص في هذا العلم، وزعموا أن ما يقومون به هو ربط الحداثة بالنص القرآني، من أجل الخروج بقراءة تبعث الحياة في النص وتربطه بالواقع. وسموها القراءة الحداثية أو القراءة المعاصرة، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع المفردات القرآنية: محمد أبو القاسم حاج محمد[١]، ومحمد أركون[٢]،ونصر حامد أبو زيد[٣]، وحسن حنفي[٤]، ومحمد شحرور [٥]وعلي منصور كيالي[٦]، جمال البنا[٧]، وغيرهم، ومما يعاب على

(١) المؤسس الأول لمدرسة الحداثة في بلاد العرب، سوداني، ولد سنة ١٩٤١م، سياسي ومفكر، عمل مستشارا للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن، أسس الحركة السودانية المركزية للبناء والوحدة (حسم)، من كتبه العالمية: الإنسانية الثانية، الإسلام ومنعطف التجديد، منهجية القرآن المعرفية، وتوفي سنة ٢٠٠٤م..

(٢) كاتب جزائري، ولد سنة ١٩٢٨م، وتخرج في كلية الفلسفة بالجزائر، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون بباريس، وصدر له الكثير من الكتب باللغة العربية واللغة الفرنسية، ومن كتبه: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، وتاريخية الفكر العربي الإسلامي، وله قراءات لبعض سور القرآن منها: سورة الكهف، وسورة التوبة، وتوفي سنة ٢٠١٠م.

(٣) مصري، ولد سنة ١٩٤٣م، وحصل على الدكتوراه من كلية الآداب - جامعة القاهرة، وصدر حكم قضائي بردته والتفريق بينه وبين زوجه، واتجه إلى هولندا، فاحتفوا به وله مؤلفات منها: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ونقد الخطاب الديني، وتوفي سنة ٢٠١٠م.

(٤) مصري، ولد سنة ١٩٢٥م، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، وهو أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، ومن مؤلفاته: من العقيدة إلى الثورة، ومن النقل إلى العقل التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، ، وتوفي سنة ٢٠٢١م.

(٥) مهندس سوري، ولد سنة ١٩٣٨م، وتخرج في جامعة دمشق، وأوفد إلى إيرلندا للحصول على الماجستير والدكتوراه منها في الهندسة المدنية، وله كتب منها: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ونحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، توفي سنة ٢٠١٩م.

(٦) مهندس سوري، ولد سنة ١٩٥٣م، درس الفيزياء والهندسة، ومع بداية العقد الثالث من عمره بدأ يميل للعلوم الإسلامية، وألف العديد من الكتب منها: الآخرة بلغة الفيزياء، مسير الإنسان والكون في القرآن الكريم، توفي سنة ٢٠١٩م.

(٧) مفكر مصري، ولد سنة ١٩٢٠م، صدر أول كتاب له بعنوان «ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد» سنة ١٩٤٥م، وفي العام التالي ١٩٤٦م أصدر كتابه الثاني «ديمقراطية جديدة»، ثم توالت مؤلفاته في الصدور، عمل محاضرًا في الجامعة العمالية والمعاهد المتخصصة منذ سنة ١٩٦٣م، وحتى سنة ١٩٩٣م. وعمل خبيرًا بمنظمة العمل العربية، توفي سنة ٢٠١٣م.

الحداثيين توسلهم بهذه المناهج الغربية في تأويل مفردات القرآن للوصول إلى المضامين الحداثية. يقول إبراهيم السكران[١] بعد دراسته المعمقة في الفكر الحداثي: "الحقيقة أنني بعد دراسة مشروعات التأويل الحداثي للتراث اتضح لي أنها استمدت مادتها وتحليلاتها الأساسية من أعمال المستشرقين، وخصوصًا الأعمال الاستشراقية المصوغة بالمناهج الفيلولوجية التي تدرس تكوينات الثقافة عبر تحقيق وتحليل النصوص والمخطوطات المبكرة" .[٢]وليس المقصود رفض كلّ الاجتهادات الحديثة أو المعاصرة أو الجديدة في التعامل مع القرآن الكريم وتفسيره، وليس مبعث الحذر من هذه القراءات كونها جديدة غير معهودة؛ لأنه ليس كل جديد مردودًا متوجَّسًا منه، وإنما المقصود تلك القراءات المرتبطة بفلسفة الحداثة التي تقوم على الآنية الزمنية، وعلى إسقاط الفلسفات الغربية على النص القرآني مهما اختلفت طبيعتها عن طبيعته، يعني أنه من الممكن منهجيًّا وجود اجتهادات تفسيرية حديثة أو معاصرة تتجاوز الاجتهادات القديمة، مع التزامها بالمنهج العلمي المسطَّر في أصول التفسير وقواعده، كما قال الشاعر سامي البارودي:

كَـمْ غَـادَرَ الشُّـعَرَاء مِـنْ مُـتردَّمٍ ولـرُبَّ تـالٍ بَـزَّ شَـأْوَ مُقـدَّمِ

ومقولة: «ليس في الإمكان أفضل مما كان» إنما تصح جزئيًّا في أنواع من علوم القرآن مثل: أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وكل ما يتعلق بالاتجاه الأثري واللغوي في التفسير؛ بحيث يكون القرب من زمن الرسالة قيمة مضافة، على خلاف اتجاهات تفسيرية أخرى نشأت حديثًا كالاتجاه الاجتماعي، الذي سيمكِّن المسلمين من تأسيس نظريات قرآنية في النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية، قادرة على مواجهة التحدي الحضاري وتجاوزه بالكشف عن الإعجاز القرآني في العلوم الإنسانية، وكذلك التفسير العلمي الذي أثبت أن الكتاب المسطور (القرآن العظيم) لا يتناقض أبدًا مع الكتاب المنظور (الكون). كما يجب

(١) سعودي، ولد سنة ١٩٧٦م، باحث ومُفكِّر إسلامي، مهتمٌ بمنهج الفقه الإسلامي وبالمذاهب العقدية والفكرية، له العديد من المؤلفات والأبحاث والمقالات المنشورة وله عدد من الكتب منها: الطريق إلى القرآن، التأويل الحداثي للتراث، توفي سنة .

(٢) التأويل الحداثي للتراث، إبراهيم السكران، ص١٢.

التنبّه إلى الفرق الكبير بين الحداثة والتحديث، فإذا كانت الأولى مرتبطة بالأفكار والمعتقدات والفلسفات فإن الثاني يرتبط بالجوانب المادية وبمظاهر الحياة المدنية؛ لذلك لا يمكن الحديث عن حداثة في الحقل الديني، ولكن يمكن الحديث عن التحديث؛ حيث استعملت الميكروفونات في خُطب الجمعة مثلًا، واستثمرت بعض القنوات التلفزيونية كأداة دعوية في المساجد... فكل ما يتعلق بالجانب التقني والصناعي والمادي يسمَّى تحديثًا لا حداثة؛ لأنها تتعلق بنمط التفكير والوعي والهوية[1].

ثانيًا: مرتكزات المنهج الحداثي:

ارتكز أصحاب التأويل الحداثي في بيان معاني مفردات القرآن إلى عدة مرتكزات أساسية وهي:

١- هدم التراث التفسيري:

من أهم مبادئ ومرتكزات أصحاب التأويل الحداثي هدم جهود المفسرين السابقين وعدم الوثوق بكتاباتهم، فتجد د. محمد أركون في كتابه (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني) يدعي أن التفسير التراثي يتخبط في صعوبات لم يستطع أن يتجاوزها، ويسمي طريقة المفسرين القدامى (البروتوكول التفسيري أو التفسير التقليدي)، ويصفها بأنها من مخلفات الماضي، وأما طريقته هو فيسميها (بروتوكول القراءة الألسني النقدي)[2]. ويقول د. محمد شحرور: "إن كتب التفسير التي تفسر التنزيل الحكيم من أوله إلى آخره لا تعني شيئًا بالنسبة إلينا من الناحية العلمية، وليس لها أي مصداقية؛ لأنها ترتكز في عمومها على التفاسير التوراتية وعلى أسباب النزول وأقوال السلف. أما مبادئ منهجنا المعاصر في فهم نصوص التنزيل الحكيم، فهي مبادئ ذات أرضية علمية، ولها مصداقيتها في التطبيق"[3]. زعم أصحاب هذه المدرسة أن التفسيرات الموروثة لم تعد تناسب

(١) القراءة الحداثية للنصّ القرآني: دراسة نظرية حول المفهوم والنشأة والسمات والأهداف، فاطمة الزهراء الناصري.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، د. محمد أركون، ص١٥٥.

(٣) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص١٩.

عصرنا أو أي عصر تلاها، وأن التمسك بها لا يُعبر سوى عن عجز ونقص في المخيلة. لذلك رأوا ضرورة إعادة التفسيرات بمنطق العصر.

٢- سيادة العقل:

اتفق الحداثيون على سلوك مسار فكري يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلًا جديدًا يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ويتم ذلك عن طريق التعامل مع الآيات من خلال النظريات الغربية والفلسفات الحديثة، وإعطاء العقل سلطة مطلقة في إخضاع الآيات للنقد. يقول شحرور: "قد وضعنا منهجنا الفكري لفهم نصوصه بالارتكاز على ما توصل إليه كل من علمي اللسانيات والإبستمولوجيا الحديثين. فجاء منهجنا مبنيًّا على المبادئ التالية: لا يمكن فهم أي نص لغوي إلا على نحو يقتضيه العقل"[(١)]. فهو يزعم أن النص اللغوي - ومن ضمنه القرآن - لا يمكن فهمه إلا بما يتوافق مع العقل، فأعطى للعقل السلطة الكاملة للنقد (القبول والرفض). وقد طرح محمد عابد الجابري في كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم) نظرات عقلانية نقدية لقصة كتابه المصحف الشريف معتمدًا منهج الشك في المسلمات التي أجمع عليها الأقدمون في علوم القرآن رافضًا كل خبر يخالف عقله - كخبر انشقاق القمر والإسراء والمعراج - موظفًا التأويل الذي ينسجم مع المنهاج العقلي الذي ارتضاه لفهم آيات القرآن، مخترعًا ترتيبًا جديدًا لفهم سور القرآن وفق زمن نزولها[(٢)]. كل هذا تحت مرتكز استعمال العقلانية والروح النقدية. وهذا ما صرح به حسن حنفي إذ يقول: "التجديد: التحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطان إلا لضرورة الواقع"[(٣)].

٣- نزع القداسة:

تغوّل الفكر الحداثي، وحاول تفعيل أدواته في فهم القرآن، وتطبيق بعضِ آلياته للتمييز بين (المادي والغيبي) (الواقعي والمتعالي) (المشروط والمطلق)، وإعطاء

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، ص٢١٧.
(٣) التراث والتجديد، حسن حنفي، ص٤٥.

الأولوية للمادي والواقعي والمشروط، على حساب الغيبي والمتعالي والمطلق، وهذا التصور أفرز حالة شبه سائدة لدى كثير من الحداثيين، في النظر إلى القرآن باعتباره منتَجًا بشريًّا بعيدًا عن التعالي والتقديس، يُؤخذ منه ويُرد، يُصيب ويُخطئ، شأنه شأن أي فكر ونص بشري(١). يقول أركون: "فقد ألححت ومنذ سنوات عديدة على ضرورة دراسة العلم الأنتربولوجي وتدريسه. فهو الذي يُخرج العقل من التفكير داخل السياج الدوغمائي المغلق إلى التفكير على مستوى أوسع بكثير، أي على مستوى مصالح الإنسان، أي إنسان كان وفي كل مكان. كما أن العلم الأنتربولوجي يعلمنا كيفية التعامل مع الثقافات الأخرى بروح منفتحة متفهمة، وضرورة تفضيل المعنى على القوة أو السلطة، ثم تفضيل السلم على العنف، والمعرفة المنيرة على الجهل المؤسس أو المؤسساتي. وإذا ما تم الإجماع الكامل على هذا التوجه المعرفي، فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة"(٢) ويقول أيضًا: "أضف إلى ذلك كله أن علم الأنتربولوجيا الحديث يُمارس عمله كنقد تفكيكي، وعلى صعيد معرفي، لجميع الثقافات البشرية المعروفة. إنه يُمارس عمله هذا بعيداً عن التأويلات التاريخانية الإيديولوجية. وقد أثرت الأنتربولوجيا أو أخصبت التفكير الحديث عن طريق بلورة ما أسميته بالمثلثات الأنتربولوجية Anthropological triangles، وهي مثلثات من نوع: «العنف والتحريم والحقيقة، أو الوحي والتاريخ والحقيقة»، أو «اللغة والتاريخ والفكر»(٣). ويقول أيضًا: "لا يمكن استثناء أي نظام من أنظمة الحقيقة بحجة أنه إلهي منزل وغيره بشري زائل، أو دنيوي عرضي لا. فجميع التراثات الدينية سوف تخضع لمنهجية النقد التاريخي والحفر الأركيولوجي في الأعماق. وإذا كان هناك نظام للحقيقة يستحق الاستثناء فسيجبر لا محالة على أن يجدد بيانه وبراهينه وتأصيله بحسب ما تقتضيه عولمة الذهن البشري وما يصاحب ذلك من المعرفة الكونية العالمية"(٤). ويقول هاشم صالح تلميذ أركون ومترجم كتبه،

(١) ينظر: دعاوَى نزع القدسية عن القرآن عند الحداثيين؛ عرضٌ ونقد، د. خالد عبد االله بريه، ٣/٢١.

(٢) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، د. محمد أركون، ص٦.

(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، د. محمد أركون، ص٧.

(٤) المرجع السابق، ص١٠.

عند قوله: "آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الأوان للكشف عن علاقته بظروف محددة تمامًا في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي"[١]. ويقول نصر حامد أبو زيد: "إن النص القرآني وإن كان نصًّا مقدسًا، إلا أنه لا يخرج عن كونه نصًّا، فلذلك يجب أن يخضع لقواعد النقد الأدبي كغيره من النصوص الأدبية"[٢]. وبهذا يتبين أن النص القرآني عند الحداثيين ظاهرة تاريخية حدثت في زمن ما، لا تحمل أي طابعٍ مقدس يلزم التمسك بها، وأحاديث بعض الحداثيين متضافرة على نزعِ القداسة عن النص القرآني، وإن كانت بدرجات متفاوتة بينهم.

٤- اختراق الثوابت والأصول:

يقول شحرور: "كان سبب اختراقنا لهذه الثوابت أننا رأينا أن الكثير من أطروحات التجديد الموجودة في الساحة الفكرية لا معنى لها ولا تؤتي ثمارها؛ لأنها تكرار للذات وللسلف، وهي مجموعة من الخطابات والكلمات الرنانة بدون أي معان أو أفكار مفيدة، أي أن الثقافة الإسلامية تعيد إنتاج نفسها إلى اليوم حتى في وسائل الاتصال المعاصرة، لأن أي تجديد لا يُسمى تجديدًا إلا إذا تم فيه اختراق الأصول". واستشهد بمقولة آينشتاين الشهيرة: "إن لمن الحماقة أن تعتقد أنك ستحصل على نتائج جديدة وأنت تكرر الشيء نفسه"[٣]. وقال: "إن الإنسانية اليوم لا تحتاج إلى أي رسالة أو نبوة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوات، وقادرة على التشريع لنفسها بدون رسالات والإنسانية اليوم أفضل بكثير مما كانت عليه في عصور الرسالات؛ لأن البشرية كانت قديمًا بحاجة إلى الرسالات لترتقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أما الآن فقد تطورت ووصلت إلى مستوى بعيد جدًّا عن مستوى المملكة الحيوانية؛ لأن المستوى الإنساني والأخلاقي في تعامل الناس بعضهم مع بعض الآن هو أفضل بكثير عن ذي قبل وحتى عن عهد الرسالات، وبالتالي يصبح البكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه"[٤].

(١) الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، ص٣٧٥.
(٢) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص٢.
(٣) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص١٦.
(٤) المرجع السابق، ص١٧.

٥- طرح المنطق اللغوي:

من مناهج العلوم التي طبقها الفكر الحداثي المعاصر على القرآن الكريم فهمًا وشرحًا المنهج اللساني الذي نشأ في ظروف تمدد المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية لإخضاعها لمنطق الحس بالرغم من مفارقتها له، وغاية ما اقترح في هذا الصدد أن يطرح المنطق اللغوي في فهم النصوص، وترك علوم اللسان العربي التي استخدمها كبار اللغويين والمفسرين القدامى في فهم بنية الكلام القرآني. وعندما حاول محمد أركون تطبيق المنهج الألسني المقترح في تفسير بعض آيات القرآن الكريم، لم يستقم له ذلك، إذ رام سنة ١٩٧٤م قراءة سورة الفاتحة، وأعاد سنة ١٩٨٠م قراءة سورة الكهف، حيث حشر في قراءته لهذه السورة ركامًا من أقوال المستشرقين كبلاشير، ووانسبروغ وكوربان وهيكل وماسنيون مما لا تعلق له بفهم آياتها، وأدرج ضمن ذلك نصوصًا من تفسير الطبري والفخر الرازي مقطوعة من سياقها. يقول د. محمد شحرور: "كل علماء اللغة ظهروا في القرون الهجرية الأولى. ونحن الآن في بدايات القرن الحادي والعشرين، نعلم أن علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك والطب وكل العلوم الأخرى تقدمت تقدمًا هائلًا لا يقاس أصلًا بالماضي، بالإضافة إلى علوم اللسانيات، لكن علماء الدين نسوا أن علوم اللغات تطورت أيضًا تطورًا هائلًا، فكيف لنا نحن ألا نأخذ في الاعتبار هذا التطور الهائل لعلوم اللسانيات عند دراسة آيات التنزيل الحكيم لفهمها بنحو أفضل ومعاصر؟"[(١)].

ويقول في موضع آخر: "لا يمكن فهم التنزيل الحكيم، من خلال أسلوب فهم الشعر الجاهلي ومفرداته، فالمجتمع الجاهلي له أرضيته المعرفية وعلاقاته الاجتماعية والجمالية والأخلاقية الخاصة به؛ بحيث جاءت مفردات شعره عاكسة لذلك كله ومعبّرة عنه ومقيدة به، ونحن لا نجد كلمات أو مفردات عند العرب وقتها تدل على الجاذبية الأرضية أو على كرويتها لأنهم لم يعرفوها أصلًا... من هنا نقول إن المجتمعات هي التي تشارك في صنع المعاني حسب تطور معارفها، لكن هذه التطورات نفسها محسوبة في التنزيل؛ بحيث مهما امتدت واتسعت، فسيجدها

(١) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص٣٠.

الإنسان منسجمة مع النص الإلهي، مصدقة له ودائرة في فلكه" .[١]

٦- لا نهائية المعنى:

ترى هذه المدرسة أن القرآن لا نهاية لمعانيه، أي: يمكن التناقض في تفسيره أو استحداث معان لا نهاية لها، فممارسة فعل القراءة على نص ما في التصور الحداثي يستلزم تعدُّد دلالات ذلك النص، قال محمد أركون متحدثًا عن مشاريعه الفكرية: "كنت قد شرعت بهذا العمل شخصيًّا تحت عنوان مزدوج: (قراءات في القرآن) مع الإلحاح على فكرة التعدُّدية في كلمة قراءات"[٢]. ويقول أيضًا: "إن الوحي يعني حدوث معنى جديد في الفضاء الداخلي للإنسان (القرآن يقول: في القلب). وهذا المعنى يفتح إمكانيات لا نهائية أو متواترة من المعاني بالنسبة للوجود البشري"[٣]. ويرى محمد الطالبي: أنه ليس من حق أحد التكلم باسم الإسلام، وأنه من حق كل واحد أن يتحدث من خلال ما يظن أنه الحقيقة؛ ولا مناص في أن يحتكم كل منا إلى فهمه لإسلامه أي إلى قناعاته وتصوراته[٤] ومن هنا تأتي لا نهائية المعنى التي قصدوا بها أيضًا أن كل أهل عصر لهم أن يفسروا القرآن بحسب ما يتراءى لهم من علوم وثقافات، فيقول شحرور: "إن قراءتنا المعاصرة للرسالة المحمدية التي وردت بين دفتي المصحف جاءت من منطلق كونها خاتم الرسالات، فتمعنًا فيها بعيون وعقل عصر ما بعد الرسالات على أساس أن الخطاب الإلهي الذي جاء فيها يستوعب كل المستويات الإنسانية؛ بحيث جاء مستوعبًا لمستوى الأولين الذين قرؤه بعيونهم وبمستوى معارفهم، وجاء مستوعبًا لمستوانا، وبالتالي علينا أن نقرأه بعيوننا وبمستوى معارفنا، كما جاء مستوعبًا لمستويات من بعدنا من الأجيال الذين يجب عليهم أن يقرؤه بعيونهم وبمختلف مستوياتهم المعرفية"[٥]، ويبين هدفه من القراءة المعاصرة للنص القرآني فيقول بأن: "هدفه العمل على إعادة تأسيس فكر ديني معاصر، لا يتناطح مع ما توصلت إليه المعارف الإنسانية،

(١) المرجع السابق، ص ٣٢ -٣٣.
(٢) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون ، ص٩٤.
(٣) المرجع السابق، ص٨٩.
(٤) ينظر: عيال الله، محمد الطالبي ، ص٦٨،٧١.
(٥) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص١٨.

باستعمال أرضية معرفية متطورة لفهم نصوص التنزيل الحكيم، وإعادة تأسيس فقه إسلامي معاصر يقدم رؤية مغايرة لعملية التشريع التي يجب أن تتماشى مع التطور المعرفي لأي مجتمع. على ألا ننسى أن قراءتنا المعاصرة للتنزيل الحكيم ليست القراءة الأخيرة له؛ لأن القول بأنها الأخيرة يوقعنا في ما وقع فيه السلف والسلفيون والآباء والآبائيون"[1].

فألفاظ القرآن الكريم عند الحداثيين لا يوجد لها معان ثابتة، ولا دلالات ذاتية من الممكن الكشف عنها من خلال اللغة واحتمالاتها، وبهذا يتم الترسيخ في أذهان الناس أن كل شيء في النصوص القرآنية يحتمل التأويل، ومن الممكن صرف كل لفظ عن ظاهره إلى المجاز، وبالتالي نستطيع أن نجعل من الإسلام دينًا مرنًا نسقط الكثير من أصوله التي توارثها المسلمون عبر الأجيال، ويستطيع المسلمون من خلال التأويل في كل عصر أن يفصِّلوا إسلامًا يناسب مصالحهم.

---

(١) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص١٩.

المطلب الثاني
أهم الانتقادات الموجهة إلى مدرسة الحداثة.

١- دعوات الحداثيين لهدم التراث الإسلامي، وإقامة علوم جديدة نابعة من ثقافات الغرب، أمر في غاية التطرف العلمي؛ لأنه من المعروف علميًّا أن العلوم تتطور وفق قواعد وأصول، وهو ما يعرف بالتراكمية العلمية، فالطب - مثلًا - قام على أصول معرفية، ثم تطور، وما زال في تطور، دون إماطة الأصول التي انطلق من خلالها، وكذلك علم الكيمياء، والرياضيات، وسائر العلوم، فما زال العلماء يرجعون إلى كتب أبي بكر الرازي (ت: ٣١١هـ) وابن سينا (ت :٤٢٧ هـ) وأبي الريحان البيروني (ت: ٤٤٠هـ) وابن البيطار(ت: ٦٤٦هـ) وغيرهم... ولم يقل أحد بهدمها وإقامة علوم جديدة، وهذه علوم دنيوية، فما بالك بالعلوم المرتبطة بالآخرة (الدين والعقيدة)، العلم الحديث نفسه يمنع أن يهدم العلم القديم؛ لأنه ما قام إلا به وما بني إلا عليه، ولا مانع من التطوير والتنقيح والإضافة التي تناسب العصر بما لا تخالف الأصل. ولو افترضنا جدلًا أننا سنهدم التراث الذي يخص فهم دلالة المفردة القرآنية، يعني إنكار كتب المعاجم، وغريب القرآن، والوجوه والنظائر، وكتب التفسير، وعلوم القرآن، فمن أين سنفهم دلالات المفردات وهي ألفاظ عربية اختيرت بعناية دقيقة ووضعت في مكانها بعناية دقيقة، فإن لم نطلع على لغة العرب ودلالات الألفاظ العربية، وما قاله العرب الخلص الذين هم أهل اللغة التي نزل بها القرآن، فكيف سنفهم تلك الدلالات إن لم يكن لدينا مراجع ثقافية بين أيدينا؟ هل سنفهم دلالات مفردات القرآن العربي من نظريات فلسفية غربية لا تمت بأي صلة بالقرآن العربي كما يقول الحداثيون، إن العلم ذاته بريء مما يقولون.

٢- إعطاء العقل سلطة مطلقة في إخضاع الآيات للنقد، والتحرر من السلطة بكل أنواعها، سلطة الماضي، وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطان إلا لضرورة الواقع، وهذه طامة كبرى وقع فيها الحداثيون؛ لأن هذا يفضي بالضرورة إلى تسلط الآلة العقلية على النقل، فالعقل عندهم هو السلطة التي يتأسس عليها الوحي ذاته[١]، وبهذا حرفوا معاني المفردات القرآنية التي لم

(١) ينظر: نقد الخطاب الديني ، نصر حامد أبو زيد، ص١٨.

تستوعبها عقولهم مثل: العرش، والكرسي، والشياطين، والحسد، والسحر، والجن، وتأولوا معاني هذه المفردات تأويلًا يعدل عن كونها حقيقة غيبية، وفسروها على أنها مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة معينة من تطور الوعي الإنساني[١]، فمعناها متغير ومتجدد بحسب الزمان والمكان والنضج العقلي للأفراد والمجتمعات، وأما مفهومها الإسلامي المعروف في التراث فهو عندهم أباطيل وأحاديث عجيبة دائرة حول معنى الأسطورة والفكر الخرافي[٢]، وعلى هذا النحو حرفوا كل الآيات المصادمة لعقولهم، فنفوا الغيبيات، واستخفوا بالنصوص القرآنية الواردة والأحاديث النبوية المتواترة. ويصف الجابري المعجزات كالإسراء والمعراج وانشقاق القمر بأنها من التراث القابل للنقد والرفض، ويرى أن من حقه بل من واجبه أن يختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا[٣].

يجب التنبيه على أن العقل ضعيف، وقدرة إدراكه محدودة، ولا تجوز معارضة الحقائق الشرعية به، يقول ابن خلدون: "العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره فإنّ ذلك طمع في محال"[٤]، ولكى يوضح ذلك يقدم مثالًا جميلًا على قدرة العقل، بالرجل الذى رأى الميزان الذى يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال! فهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن للعقل حدًّا يقف عنده، ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وصفاته ، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، ثم يقول: "فتفطن في هذا لغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رأيه ، فقد تبيّن لك الحق من ذلك"[٥].

٣- نزع القداسة عن القرآن أمر في غاية الخطورة؛ لأن هذا يعني مساواة النص

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٢١٢.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٧، ٨، ٩٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢.
(٣) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري ، ص١٨٨.
(٤) تاريخ ابن خلدون، ٥٨٢/١.
(٥) المرجع السابق نفسه.

القرآني بغيره من النصوص، وسلب صفة الإعجاز منه، وبالتالي فهو خاضع للنقد عند الحداثيين، وسأبين الفرق بين القرآن وغيره من النصوص البشرية في النقاط الآتية ليتبين موضع القداسة والإعجاز:

أ- من حيث المصدر: النص القرآني رباني معصوم، والنص البشري إنساني غير معصوم.

ب- من حيث القصد: النص القرآني محدد المرادات، والنص البشري متردد بين التجلي والخفاء.

ج- من حيث الغاية: النص القرآني مرجع هداية وتقويم، والنص البشري مرجع تواصل وتفاعل.

د- من حيث طبيعة المعنى: النص القرآني يقيني قاطع، والنص البشري نسبي، لا نهائي، محتمل.

هـ- من حيث زمان الدلالة: النص القرآني عصري عالمي، متفوق زمانيًّا، والنص البشري تاريخي، ماضوي ، ظرفي.

و- من حيث لغة البيان: النص القرآني معجز، والنص البشري غير معجز.

ز- من حيث معايير الحكم: النص القرآني موضوعي، متزن، منزه، والنص البشري أيديولوجي، ذاتي، انتقائي[(١)]. والحداثيون تجاهلوا تلك الفوارق الكبيرة، وغضوا الطرف عن ربانية القرآن ومصدره وقداسة معانيه؛ بهدف التوسع في جلب المناهج الغربية وتنزيلها على النص القرآني.

٤- الأصول والثوابت واليقينيات ليس لها حيز في قناعات المدرسة الحداثية؛ فقد شنوا الغارة عليها، لمحاولة استئصال شأفة الثنائيات التي نشأت عنها مثل مفردات: الإيمان والكفر، والحق والباطل، والحلال والحرام، والوحى والعقل[(٢)]، فالحداثيون العرب يرفضون فكرة أنَّ الإسلام هو الدين الحق، وأن ما سواه باطل، فهذا الأصل القطعي يمثل لديهم الكابوس الذي ينبغي محاربته، أمَّا

(١) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، قطب الريسوني، ص٤٠٣.
(٢) ينظر: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، ص١٤٥.

الفكرة الصحيحة عندهم فهي: تقبُّل كل الأديان واحترامُها والتسوية بينها، والقول بأنها على درجة واحدة في الصواب، ضاربين بعرض الحائط كل تلك النصوص الشرعية الإسلامية التي تبين أن الحق في دين الإسلام، وأن الأديان الأخرى احتوت باطلًا كثيرًا بعد أن حُرِّفت وبُدِّلت وغُيِّرت، ولم يقف الأمر بهم عند الدعوة إلى هذه القضية، بل تجاوز ذلك إلى إلباس دعوتهم لباسًا شرعيًّا بادِّعاء أن الإسلام ساوى بين الأديان، وجعلها كلها طرقًا مؤدية إلى الله، فالأديان كلها صحيحة عندهم، وهي على درجة واحدة من الحق، أو - على الأقل - على درجة واحدة من عدم اليقين، إذ إنه لا يمكن لأحد أن يجزم بالحقيقة، يقول هاشم صالح: "لا أحد يستطيع أن يزعم بأنه يمتلك الحقيقة بشكل مسبق، فالآخرون أيضًا لهم نصيبهم من الحقيقة وإلا لكان العالم كله قد اكتُسِحَ من قبل دين واحد، ولكننا نعلم أن هناك عدة أديان في العالم؛ كالبوذية، والهندوسية، والإسلام، والمسيحية، واليهودية، إلخ... ومن غير المعقول أن يكون أبناء كل الأديان الأخرى على ضلال ونحن وحدنا على حق" .[1] وفكرة احترام كل الأديان واعتقاد صحتها؛ هدم للمناهج المعرفيَّة السليمة، وذلك بالتسوية بين كل الأفكار، وهذه الفكرة لا يمكن أن تكون صحيحة في كل المعارف وليس في التسوية بين الأديان فقط، فإنه لا يمكن أن يكون الصدق والكذب متساويين، وكذلك الوفاء والغدر، والتسوية بين الحق والباطل ودمجِهما في بوتقة واحدة؛ يعني: هدم كل المعايير السليمة في طريقة التفكير البشري، فإن الأفكار البشرية تتفاضل، فليست فكرة الإجرام كالسرقات والاعتداءات مثل فكرة المحافظة على الممتلكات، والإحسان إلى الآخرين، وليس عدم الالتزام بقوانين المرور مثل الالتزام بقوانينه، فإن كانت الدنيا قائمة أصلًا على المفاضلة وتمييز الصحيح من الخطأ والحق من الباطل، فكيف يقال في الأديان إنها كلها على درجة واحدة من الصحة؟![2] فلذلك كل المفردات الثنائية (الكفر والإيمان، والحق والباطل، والحلال والحرام) لا معنى حقيقي

(١) حاشية الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ص ١٨٣.

(٢) ينظر: الكفر بين وضوح الإسلام وتمويهات الحداثيين، إبراهيم بن محمد صدّيق، موقع حصين للأبحاث والدراسات.

عندهم، فتجدهم يدافعون عن المساواة في الميراث، وحرية الإلحاد، ورفع العقوبة عن الزنا والخمر والإجهاض.

٥- فساد المنهج اللغوي عند الحداثيين أمر واضح، فهم لا يلتفتون إلى قواعد اللغة، وعلوم البلاغة، وعلم الدلالة، وقوانين فهم الخطاب، كما جاءت محررة مهذبة في كتب اللغة والأصول وعلوم القرآن؛ وإنما يضربون عنها صفحًا ويطوون كشحًا كما يقولون، لاهثين وراء مقولات الفكر الماركسي، ونظريات الفكر الغربي؛ كالألسنية، والبنيوية، والتفككية، والتاريخية، والهرمنيوطيقا، طالبين إخضاع المعاني القرآنية الأصيلة، ودلالات الوحي الهادية تحت تلك النظريات. يقول الراغب الأصفهاني في المفردات: "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه" .[(١)] وقال مجاهد بن جبر الإمام التابعي المفسّر: «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب»[(٢)]. فمعرفة علوم اللغة وفنونها لمن أراد أن يفسر معاني القرآن أمر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى. ومن الأخطاء الجسيمة للحداثيين عند بيان معنى المفردة ما يلي:

أ- **التلاعب بالمفردات اللغوية:** يتلاعب د. محمد شحرور بمفردتي (جاء وأتى)، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)﴾ [مريم: ٤٣]، يرى أن المجيء بالشيء هو إحضاره، وإحضار الشيء يكون من خارج دائرة من جاء به، والإتيان يكون من دائرته المعرفية، فالعلم جاء لإبراهيم من ربه أي من خارج دائرة إبراهيم المعرفية، وهذا العلم غير موجود داخل الدائرة المعرفية لوالده. وبهذا يريد شحرور أن يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءه الوحي من الله، أي من خارج دائرته المعرفية وهذا الوحي مقدّس وأبدي، أما التشريع والأحكام فقد أتى بها من داخل دائرته

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص٥٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٩٢/١.

المعرفية، وهي ظرفية مرحلية قابلة للنسخ؛ لأنها ليست وحيًا كما يرى[1]، واللغة والشرع ينفيان هذا التلاعب، فالفرق بين (جاء وأتى) بعد تتبعي للمفردتين في القرآن الكريم، وجدت أن جاء بمعنى انطلق ووصل، أما أتى فمعناها انطلق ولم يصل، فالعلم كما في الآية السابقة جاء إبراهيم أي وصل إليه، ولم يأت أباه أي لم يصل إليه، لذلك عند وصوله قال: ﴿جَاءَنِي﴾، وعند عدم الوصول قال: ﴿لَمْ يَأْتِكَ﴾. أما من الناحية الشرعية فكل رسول جاء بشريعة سماوية، والشريعة حكم وأحكام وتعليمات نزلت لتُتَّبع، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨)﴾ [الجاثية: ١٨] فالأحكام الشرعية وحي من الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم: ٣-٤].

ب- **إهدار الدلالة المعجمية للمفردة القرآنية**، مثل: (العرش والكرسي)، فالعرش عند الحداثيين هو أوامر الله ونواهيه، والكرسي هو معلومات الله، فالعرش عندهم مرتبط بالكرسي؛ إذ يأتي الأمر والنهي ضمن معلومات الآمر والناهي، والحجة عندهم أن العرش والكرسي بالتفسير المعجمي سيحملان معنى مكانيًّا والله - تعالى - خارج المكان والزمان، وهذا لا شك مناف للطبيعة اللغوية ومناف أيضًا للدلالات القرآنية، فالله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] هل يعقل أن أوامره ونواهيه هي التي على الماء، وماذا تفعل الأوامر والنواهي على الماء؟ وهل الماء تعقل ولها تكاليف شرعية؟ وفي قصة نبي الله يوسف ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] هل يعقل أن العرش هو الأوامر والنواهي؟ والصحيح أن العرش كما قال الخليل: "سرير الملك"[2]. والكرسي كما قال ابن عباس: "موضع القدمين"[3]، فالعرش والكرسي مخلوقان عظيمان لهما كنه، ولا يعلم كنههما إلا الله، ألم تتدبر قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر:

(١) ينظر: دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص ٦٧.

(٢) العين، الخليل، ٢٤٩/١.

(٣) تفسير الطبري، ٣٩٨/٥.

٧٥] وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧)﴾ [الحاقة: ١٧] وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ومما ورد في السنة عن أبي سعيد - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيامَةِ، فأكُونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بمُوسَى آخِذٌ بقائِمَةٍ مِن قَوائِمِ العَرْشِ، فلا أدْرِي أفاقَ قَبْلِي، أمْ جُوزِيَ بصَعْقَةِ الطُّورِ"[(١)]. وقال رسول الله ﷺ: "ما السَّماوات السّبع في الكُرسيِّ إلَّا كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكُرسيِّ كفضلِ تلك الفلاةِ على تلك الحلقةِ"[(٢)]. هذا مع العلم أن بعض علماء السنة أولوا دلالة العرش والكرسي إلى أشياء معنوية؛ كالملك، والسلطان، وغير ذلك.. وهو - أيضًا - مناف للدلالات المعجمية التي هي الدلالات الأصلية التي يفهمها العربي بالسليقة، لذلك تبقى هذه المفردات على الأصل اللغوي دون ادعاء معرفة الكنه، ولا تشبيه الله بخلقه، وليس الكرسي هو نفس العرش؛ لأن العرب تستخدم العرش في غير معنى الكرسي، كما أن استخدام القرآن للمفردتين في سياقات متنوعة؛ دليل على أن الأول خلاف الثاني.

ج- **صبغ المفردة القرآنية بصبغة الفلسفة المادية**، فيفسر محمد شحرور (الفصل) في قوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣)﴾ [المرسلات: ١٣]: بأنه "فصل قانون صراع المتناقضات عن الوجود المادي"[(٣)] فصار يوم القيامة والحساب - في رأيه - فصلًا لقانون صراع المتناقضات عن أسباب الوجود المادي، وسياق الآية - سابقه ولاحقه - يدل على أن المقام مقام تصوير ليوم جليل، يفصل فيه بين الناس، ويحاسب كل فرد بحسب عمله في الدنيا! ولو تأمل شحرور خاتمة السورة، لرأى فيها الوعيد للمكذبين بالعذاب الشديد، والبشرى للمتقين بالنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨)﴾ [المرسلات: ١٥-١٨]، وقال تعالى عن المتقين في ذات السورة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٩١٧). ومسلم، برقم (٢٣٧٤).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في (العرش) برقم (٥٨) واللفظ له، وابن حبان، برقم (٣٦١).
(٣) الكتاب والقرآن، محمد شحرور، ص٢٢٩.

يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤)﴾ [المرسلات: ٤١-٤٤].

د- **تنزيل المفردة على معنى حادث:** أي صرف معنى المفردة عن المعنى المعهود أصالة وإخضاعه للمعاني الحادثة، وإن من أمهات قواعد التفسير التي لا يغفل عنها الطالب المبتدئ: لا يجوز حمل ألفاظ القرآن على اصطلاح حادث[١]، أي: أن المفردات الواردة في القرآن لا تعزل عن دلالتها المتعارف عليها في عصر التنزيل، لتُحمل على اصطلاح حادث طرأ في العصور المتأخرة جريًا في ركاب التطور الدلالي، وأخذًا بمواضعاته الجديدة؛ ذلك أن لغة القرآن تدارج سياق التنزيل وتقارنه، وتجري على أعراف لسان العرب في الجيل الأول، فإذا أهدرت هذه القاعدة، انسلخ المصطلح القرآني عن أصالته وجوهر مدلوله، وصار غير مطابق لمسماه الأصلي[٢] ومن هذا ما أراده أركون من استبدال مفردة (القرآن) إلى مصطلح حادث وهو (المدونة الرسمية المغلقة) يريد أركون أن يقول: إن تدوين القرآن في مصحف جاء في فترة متأخرة عن التلقي والمشافهة، حيث انقطعت الصلة بين الخطاب الشفهي والمكتوب في الجوهر والمخبر؛ وهذا يلزم منه عند أركون ضياع أجزاء من النص، أو إزالته عن وجهه وحقيقته، كما يرى هو وأتباعه أن المصحف صار مؤيداً للنظام الرسمي للدولة؛ لأنه صادر عن قرارتها، وغير مصدق عليه من جمهور الأمة، وزعموا أنه كان خلاف على القرآن وصراع في زمن عثمان بن عفان وحتى القرن الرابع الهجري، ثم أغلق الصراع نهائيًّا باتفاق ضمني بين السنة والشيعة، وذلك لأن استمرارية الصراع كانت ستضر بكلا الطرفين، بعدئذ أصبح كنص نهائي لا يمكن أن نضيف إليه أي شيء، أو نحذف منه أي شيء، وأصبحوا يعاملونه كعمل متكامل[٣]، ولهذا يرى أركون أن (المدونة الرسمية المغلقة) تم الحفاظ عليها لا لأن الله - تعالى -

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية، ٧/ ١٠٦ – ١١٥ – ١١٦. الموافقات، الشاطبي، ص ٦٤-٦٦.

(٢) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر- د. قطب الريسوني، ص٣١٩.

(٣) ينظر: نافذة على الإسلام، أركون، ص٥٧. القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، أركون، ص١٠٦- ١١٥.

تكفل بحفظها، ودفع عنها أسباب التحريف والتلاعب؛ وإنما لأن السلطة الرسمية والشخصيات الدينية وثقافة العامة عوامل وطأت الأكناف لتبني هذه المدونة وإجراء العمل بها، وإحاطتها بحجب التقديس والتبجيل![1]. وهذا التفسير باطل من وجوه:

الوجه الأول: لأن القرآن دون في عصر النبوة؛ حيث اتخذ النبي كُتَّابًا للوحي، إلا أنه لم يكن مجمّعًا في عهده، وهذا ما قام به الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ بنصيحة من الفاروق عمر بن الخطّاب ﷺ خوفًا عليه من الضياع، ثم جاء عثمان ﷺ ونسخ المصحف الأم إلى سبع نسخ ووزعها على الأمصار خوفًا عليه من التحريف[2].

الوجه الثاني: مفردة (القرآن) في المعجم العربي مأخوذة من (قرأ) التي تحتوي على دلالة الجمع والضم[3]، فتسمية القرآن بذلك؛ لجمعه ثمرة جميع العلوم[4]، ولجمعه السور وضمها[5]. واستقراء جذر المادة في المعاجم مفض إلى أن للقرآن دلالتين: الأولى حسية: كتاب مقروء بدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة: ٢]، والثانية معنوية: الجمع والضم، بدليل قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾ [القيامة: ١٧]. وهذا يؤنس للقول بأن للقرآن دلالة صريحة ظاهرة على أنه نص مدون قابل للقراءة، وأن هذه الدلالة مساوية لأختها الدالة على الجمع؛ بل إن لفظ (القراءة) يشعر دائمًا بوجود نص مدون يقرأ منه، أكثر من إشعاره بوجود نص محفوظ مستظهر، أو خطاب شفهي متلو[6].

الوجه الثالث: إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، وسبرنا استعمالات لفظ (الكتاب) التي

(١) ينظر: تاريخية الفكر الإسلامي، أركون، ص٢٩٩.
(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٣٥/١..
(٣) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (قرأ)، ٧٨/٥
(٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، ص٦٦٩
(٥) ينظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، ص٣٥.
(٦) ينظر: النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر- د. قطب الريسوني، ص٣١٩.

تربو على المئتين، وجدنا عشرات الآيات تشير إشارة صريحة إلى أن القرآن كان منذ البدء كتابًا مدونًا مقروءًا، ويختلف عن الكتب السماوية الأخرى في أنه نزل منجمًا على حسب الأحداث والنوازل، ولهذا لم ينزل مكتوبًا، وهو ما جعل النبيﷺ يتخذ كُتابًا للوحي، فهي مهمة ممتدة ظلت ملازمة له مدة ثلاث وعشرين سنة، بينما الكتب الأخرى نزلت جملة واحدة في الألواح، وتأمل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦]، فالآية تدل على أن القرآن كتاب مدون قابل للقراءة منذ البدء، وهذه الدلالة تنتزع من آيات جمة ورد فيها لفظ الكتاب، لذلك فمحاولة الحداثيين لفصل القرآن الشفهي عن الكتابي، محاولة خائبة عارية عن الأدلة العلمية والمنطقية.

هـ- **إهدار دلالة السياق:** هذا أصل من أصول الحداثيين عند تأويلهم للمفردة القرآنية، فمثلا: (الضرب) في قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤)﴾ [النساء: ٣٤]، تقول الكاتبة آمنة داود: "كلمة (الضرب) لا تعني بالقوة أو العنف، وقد تم استخدامها في القرآن على سبيل المثال في عبارة : ضرب الله مثلًا ... كما تم استخدامها - أيضًا - عندما يهاجر المرء أو يضرب في الأرض"[(١)]. فالضرب في المنهج الحداثي والنسوي يعني التباعد والتجاهل، أو هجر منزل الزوجية، وهذا باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن (الضرب) له معنى عام وهو "إيقاع شيء على شيء"[(٢)]، وكل دلالات الضرب تعود إلى هذا المعنى العام، وقد يأتي لمعنى معنوي؛ كضرب الأمثال، وقد يأتي لمعنى حسي كضرب الشيء باليد، والعصا، والسيف، ونحوها.

الوجه الثاني: الذي يحدد المعنى دلالة السياق، ولا يجوز إهدارها عند تفسير المفردات، والضرب في الآية ورد في سياق تأديب المرأة الناشز التي أعلنت

(١) القرآن والمرأة، آمنة ودود، ص١٢٦..
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٠٥.

العصيان والتمرد على زوجها، فرتب القرآن وسائل العلاج والتدرج فيها: الوعظ، ثم الهجر في الفراش، ثم الضرب، وهو وسيلة مؤخرة في الترتيب، يلجأ إليه الزوج بعد إخفاق الوسائل الأخرى وإصرار الزوجة على النشوز، وقد بين الشرع أن الضرب لا يكون مبرحًا، لا بسوط ولا بعصا ولا بخشب، بل بطرف الثوب أو بمنديل ملفوف أو بالسواك، كما لا يجوز على الوجه والمواضع الحساسة في الجسد، والمقصود منه التعبير عن شعور الزوج بالغضب والسخط؛ لتبكيت الزوجة وتأديبها وردها عن تمردها، مع العلم أنه قد يحدث بين الزوجين عند المداعبة ما هو أشد، فلماذا التحامل على دلالة المفردة القرآنية؟

و- **تحريف المصطلح القرآني:** حرف الحداثيون مصطلحات القرآن لتتناسب مع أفكارهم ونظرياتهم الفلسفية الغربية، ومن هذه المصطلحات: مصطلح الإسلام والإيمان والكفر وغيرها... فمصطلح الإسلام كما يرى شحرور هو الإيمان تسليمًا بوجود الله وباليوم الآخر وأداء العمل الصالح، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ [البقرة: ٦٢] وبهذا يرى أن شهادة أن لا إله إلا الله فقط هي تذكرة الدخول إلى دين الإسلام مهما كانت ملة الإنسان، والإسلام عنده يُبنى على العمل الصالح بعد الإيمان تسليمًا بوجود الله وباليوم الآخر، واستدل أيضًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)﴾ [الأنبياء: ١٠٨]. ويقول شحرور: "كل هؤلاء يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقد سماهم التنزيل الحكيم المسلمين على اختلاف مللهم"[(١)]. ويرى - أيضًا - أن المسلم يجب أن يكون عنده ذرة شك في وجود الله، كما أن الملحد عند ذرة شك في الإلحاد. والإيمان عند شحرور هو الإيمان بنبوة محمد ﷺ بعد الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، أي إن الإيمان بالنبي ﷺ يأتي بعد الإسلام، ويتجلى في شهادة أن محمدًا رسول الله، ويستدل على ذلك بقوله تعالى :

(١) دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، ص ٦٠.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)﴾ [محمد: ٢]، وبهذا يرى أن أركان الإيمان هي أداء الشعائر (الصلاة والزكاة، الصوم، الحج) لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)﴾ [المؤمنون: ١-٤]، فمصطلح (مؤمن) عنده أصبح وقفًا على من اتبع ملة محمد ﷺ فقط، أما مصطلح (مسلم) فيطلق على كل من آمن بالله وحده مهما اختلفت ملته، ولا يستلزم منه أن يؤمن بمحمد ﷺ[(١)]. أما مصطلح (الكفر) عنده فهو تصرف وموقف عدواني علني واع ضد أمر ما، ومن هذا التعريف يرى أن موقعة الجمل حصلت بين فئتين كافرتين؛ لأن كل واحدة منهما كفرت بأحقية الأخرى في السلطة. ويرى أن الكافر بالله هو المشرك به والمعلن عن ذلك بلسان مقال، والكافر بنبوة محمد ﷺ ورسالته هو كل من اتخذ موقفًا علنيًّا عدائيًّا ضده ﷺ بتكذيبه ومعاداته والتآمر عليه ومحاربته[(٢)]. يريد أن يقول: من لم يؤمن بالنبي ﷺ في نفسه ولم يتخذ موقفًا عدائيًّا فليس بكافر.

التأصيل اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردات:

أولًا: الإسلام في اللغة:

الاستسلام، ويدخل فيه الخضوع والانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع[(٣)]. **وفي الاصطلاح:** الاستسلام لله - تعالى - بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلاص من الشرك. **وأركانه** قد وردت في الحديث: "أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ ﷺ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلًا"[(٤)].

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٦١.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٦٣.
(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣/، بتصرف يسير.
(٤) صحيح مسلم، رقم (٨).

ثانيًا: الإيمان في اللغة:

"التصديق"[(١)]، "والإيمان بدين أو عقيدة: قبول العقيدة وتمكنها في القلب وامتلاؤه بها"[(٢)]. **وفي الاصطلاح:** "تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]"[(٣)]. أو هو التصديق الجازم بكل ما جاء به رسول الله ﷺ. **وأركانه** قد وردت في الحديث: "أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ"[(٤)].

ثالثًا: الكفر في اللغة:

الستر والتغطية. يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه. والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه. والليل: كافر؛ لأنه يغطي الأشخاص. والنهر العظيم: كافر؛ تشبيهٌ بالبحر. ويقال: للزارع كافر؛ لأنه يغطي الحب بتراب الأرض[(٥)]. **وفي الاصطلاح:** "الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها"[(٦)].

من خلال هذا التأصيل يتبين أن كلام شحرور باطل من وجوه:

الوجه الأول: الإسلام لا يعني أبدًا الإيمان بالله فقط؛ لأن الشخص قد يؤمن بوجود الله ولا يؤمن بأوامره ونواهيه ولا بأنبيائه، كما فعل مشركو مكة، حيث كانوا يقرون بوجود الله، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ومع إقرارهم بوجود الله وربوبيته وصفهم الله بالكفر في مطلع الآيات قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣)﴾

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٣٣/١.
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، د. محمد حسن جبل، ٢١٢٦/٤.
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٩١.
(٤) صحيح مسلم، رقم (٨).
(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٩١/٥.
(٦) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٧١٥.

[لقمان: ٢٣]، فهؤلاء لما ءامنوا بالله وكفروا برسول الله وشريعته سماهم القرآن كفارًا.

الوجه الثاني: في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ [البقرة: ٦٢] الآية تخاطب أقوامًا مختلفة في الحقبة الزمنية والتشريعية، ولكل شريعة رسول، فلا يمكن أن تأتي شريعة بدون مبلغ ومشرع، فتبين الآية أن أهل هذه الشرائع من ءامن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم، والإيمان بالرسل أمر ضمني؛ لأن هؤلاء أصحاب شرائع منزلة، فبطل الاحتجاج بهذه الآية على أن الإسلام هو الإيمان تسليمًا بوجود الله وباليوم الآخر وأداء العمل الصالح دون الإيمان بالرسل.

الوجه الثالث: كل الشرائع بشرت برسول الله محمد ﷺ، فالإيمان به واجب عندهم، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة: ١٤٦]، والسؤال هنا من كفر برسول الله محمد ﷺ هل يكون مؤمنًا برسوله هو؟ والجواب: لا ؛ لأنه كفر بما جاء به رسوله وبما أقرت به شريعته، والكفر تغطية الحق وإنكاره والجحود به، كما أصلت سابقًا.

الوجه الرابع: أما قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فيعني أن من أسلم وجهه لله - تعالى - آمن بمقتضيات هذا الإسلام من اتباع أوامره والإيمان برسله وشرائعه، وإلا كيف أؤمن به ولا أؤمن برسله الذين يبلغون رسالاته؟!

الوجه الخامس: أما تعريف الإيمان بأنه الإيمان بنبوة محمد ﷺ وأنه يكون بعد

الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فهو كلام مناف للمنطق؛ لأن الرسول هو الذي يدل الناس على الله ويبلغ عنه، وهو الذي يخبر عن الطريقة والشريعة والمنهج الذي ينبغي أن يتبع في تلك الرسالة وكيفية العبادة، فكيف يفصل الإيمان بالرسل عن الإيمان بالله وهو الدليل إليه، إذًا فالإيمان بالرسول ملازم للإيمان بالله، لذلك ورد الإيمان بالرسول ملازمًا بالإيمان بالله في الشهادة التي نرددها في كل أذان (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله)، ومن أخذ النصف الأول وترك النصف الثاني فقد خالف المنطق القويم وضل سواء السبيل.

الوجه السادس: أما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢)**﴾ [محمد: ٢] ظن شحرور أن الإيمان بمحمد جاء مرتبًا بعد الإيمان بالله والعمل الصالح، ولكن من الواضح أنه لم يقرأ الآية جيدًا، الآية تقول: ﴿**وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**﴾ وليس وآمنوا بمحمد، الفرق كبير؛ لأن القرآن نزل على رسول الله ﷺ منجمًا أي مفرقًا في ثلاث وعشرين سنة، ومن الدقة العالية للقرآن تأخير الإيمان بما نزل على محمد بعد الإيمان العام والعمل الصالح؛ لأن آخر آية نزلت كانت قبل وفاة النبي ﷺ بقليل، فوجب الإيمان بما نزل على محمد من أوله إلى آخره. وفي مطلع الآية قال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ لم يقل: (والذين ءامنوا بالله) بل جاءت عامة لتفيد العموم أي ءامنوا بالله ورسوله وما أخبر به الرسول من الإيمان بالملائكة والرسل والكتب السابقة وقضاء الله وقدره واليوم الآخر. ولتدبر قوله تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)**﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ذكر أولًا إيمان الرسول بربه، والمؤمنون أي بالرسول آمنوا أيضًا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وهذا ترتيب منطقي وطبيعي، فإيمانهم بالرسول كان أولًا من حيث إنه (الرسول) دليلهم إلى الله. وهذا الترتيب المنطقي ينفي إطلاق مصطلح (مسلم) على كل من آمن بالله وحده مهما اختلفت

ملته؛ بل يستلزم منه أن يكون مؤمنًا بالرسول.

الوجه السابع: أخيرًا، لا يجتمع الإيمان والشك كما يدعي شحرور؛ لأن الشك ينفي التصديق الذي هو تحقيق بالقلب، فإن لم يكن الأمر تحقيقًا فهو شك، والشك ليس إيمانًا، فكيف يجتمع النقيضان في آن واحد؟ وتدبر قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)﴾ [البقرة: ١٠]، والمرض هنا الشك، فتوعدهم بالعذاب؛ لأن الإيمان لم يتحقق في قلوبهم. لذلك يجب ألا يكون عند المؤمن ذرة شك في الله تعالى.

الخاتمة

لقد حاولت في هذه الدراسة أن ألقي الضوء على المفردة القرآنية والمناهج التي تناولتها بالشرح والبيان، للوصول إلى الفهم السليم، والنهج السديد، كما حاولت بيان عوار مناهج التأويل الحداثي في فهم دلالات القرآن، ولقد خرجت هذه الدراسة بمجموعة من النتائج، يمكنني أن أجملها فيما يأتي:

١- احتلت المفردة القرآنية مكانة كبيرة لدى علماء الإسلام على مدار القرون المتتابعة منذ نزول القرآن وحتى وقتنا، فتناولها المفسرون واللغويون في كتبهم، كما أفردوها في مؤلفات خاصة.

٢- الكشف عن دلالة المفردة القرآنية أمر بالغ الضرورة؛ لما يترتب على تحققه من نتائج محورية توصلنا إلى فهم مراد الله من كلامه؛ ومما يُسْفِر عن وجه الإعجاز في القرآن الكريم، ويُحْكِم ما يُسْتَخْلَص من معانٍ إيمانية، وأحكام تشريعية، ومقررات يناط بها تشكيل أنماط حياة المؤمنين.

٣- لا يحل لأحد أن يتصدى لبيان دلالات المفردات القرآنية إلا إذا كان عالمًا بلغة العرب وبقواعد التفسير وبعلوم القرآن، عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن قال في القرآنِ برأيِّهِ ، فليتَبوَّأْ مَقعدَهُ مِن النَّارِ"[1] أي قال بما جاء في ذهنه، وخطر بباله من غير دراية بالأصول، ولا خبرة بالمنقول، وهذا من باب التجرؤ على كتاب الله تعالى.

٤- من أخطر مزالق الحداثيين:

أ- الاستعانة بمناهج - ليست عربية - قائمة على فلسفات ونظريات غربية حديثة، مثل: الألسنية، والبنيوية، والتفككية، والتاريخية، والهرمنيوطيقا، طالبين إخضاع الدلالات القرآنية الأصيلة تحت تلك النظريات، متجاوزين الأدوات العلمية المسطَّرة عند أهل الاختصاص، وزعموا أن ما يقومون به هو ربط الحداثة بالنصّ القرآني، والحقيقة أن هذه المناهج تُفرِغ النصوص بشكل عامّ من معانيها ومقاصدها التي كُتبت من أجلها.

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٩٥١).

ب- إخضاع القرآن نفسه للنقد والمساءلة، والتشكيك في مصدره وقدسيته، وإزاحة التراث التفسيري؛ بهدف بناء علوم إسلامية جديدة لا تمت بصلة للأصول والثوابت والمسلمات.

ج- زعم الحداثيون أن مفردات القرآن لا نهائية المعنى وغير محدودة الدلالة، وأنه يمكن لأي قارئ أن يضع المعنى وفق ما يراه مناسبًا، وهو زعم باطل غير مستند إلى دليل، فالنص القرآني متجدّد العطاء متعدد الأفهام، لكن بشرط أن تتوافق تلك المفاهيم مع مقاصد القرآن وقواعد التفسير وأصول اللغة العربية ودلالات الألفاظ.

د- ليست الضوابط التي وضعها اللغويين والمفسرون تقييدًا لحرية التفكير والإبداع، وإنما هي تنظيم لعملية التعامل مع بيان دلالات المفردات، حتى لا يصير فهم المفردات فوضى لا يمكن ضبطها، ولا تحمل نتائجها الكارثية..

هـ- أخيرًا، أوصي الباحثين بمشروعين علميين؛ الأول تأصيلي، والثاني نقدي، فالمشروع التأصيلي يتم فيه ربط دلالة المفردة القرآنية بالواقع المعاصر مع الأخذ بالضوابط العاصمة من الزلل، والقواعد الصارفة عن الهوى، أما المشروع النقدي فيفند فيه مناهج الحداثيين، ويتناول المشروع أصحاب هذه المناهج واحدًا تلو الآخر بالترتيب.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن، (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- الإسلام والانغلاق اللاهوتي، هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٠م.

- الأضداد، (ابن الأنباري) أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الإعجاز البياني في فهم القرآن في ضوء العلوم اللغوية الحديثة، د. محمد محمد داود، مؤسسة دار الهلال، ٢٠١٢م.

- البحر المحيط في أصول الفقه، (الزركشي) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، ط١، دار الكتبي، ١٤١هـ - ١٩٩٤م.

- بدائع الفوائد، (ابن قيم الجوزية) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- البرهان في علوم القرآن، (الزركشي) أبو عبد الله محمد بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م.

- تاريخ ابن خلدون، (ابن خلدون) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، د. محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، الناشر: مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٦م.

- التأويل الحداثي للتراث، إبراهيم السكران، دار الحضارة، الرياض، ١٤٣٥هـ.

- التبيان في أقسام القرآن، (ابن قيم الجوزية) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن

سعد شمس الدين، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- التراث والتجديد، حسن حنفي، الناشر: مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٩م.

- تحرير المعني في القرآن الكريم، د. مصطفى إبراهيم خيال، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م.

- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، د. عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار – الأردن - الزرقاء، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م.

- التعريفات، (الجرجاني) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (الرازي) فخر الدين محمد بن عمر التميمي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

- التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن، (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، تحقيق: أحمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

- الجامع لأحكام القرآن، (القرطبي) أبوعبدالله محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

- جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني المسار والمصير، فريدة زمرد، الناشر المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه، مدينة فاس المغربية، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- الاحتمال الدلالي قراءة في مسالك التأويل القرآني، د. سعد محمد صبري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠٢١م.

- الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم، د. نايف خالد العجلوني، أبحاث

اليرموك - سلسلة الآداب واللغويات، م١٤، ع٢، الأردن، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

- الخصائص، (ابن جنِّي) أبو الفتح عثمان، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم شادي، دار الرسالة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ط١، مكتبة وهبة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- دراسات أصولية في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية – القاهرة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- دراسات مصطلحية، د. الشاهد البوشيخي، ط١، دار السلام، القاهرة، ٢٠١١م.

- الدرة المدنية في تحقيق علم المفردة القرآنية، د. المثنى عبد الفتاح محمود، دار النفائس بالأردن، ط١، ١٤٤٤هـ.

- دعاوَى نزع القدسيَّة عن القرآن عند الحداثيين؛ عرض ونقد، د. خالد عبد االله بريه، مجلة مركز تفسير للدراسات القرآنية، ع٢١، ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني،(الجرجاني) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة وجدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٩١م.

- دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، ط١، جامعة أم القرى، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ.

- دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم المنهج والمصطلحات، د. محمد شحرور، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٦م.

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، (أبو حيان) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد،

مراجعة: رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (الألوسي) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

- سنن الترمذي، (الترمذي) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- شرح تسهيل الفوائد، (ابن مالك) أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الجياني، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- صحيح البخاري، (البخاري) أبوعبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.

- صحيح ابن حبان، (ابن حبان) أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- صحيح مسلم، (مسلم) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (الجوهري) أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، (ابن فارس) أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، ط١، الناشر: علي بيضون، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- اعتقاد أهل السنة، (ابن جبرين) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

- العرش، (بن أبي شيبة) أبو جعفر محمد بن عثمان العبسي، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب - القاهرة، ٢٠٠٠م.

- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٧، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

- العين، (الخليل) أبو عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تحقق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة هلال.

- عيال الله، محمد الطالبي، دار سراس، تونس، ١٩٩٢م.

- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقي- بيروت، ط٦، ٢٠١٢م.

- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي للطباعة والنشر، ط٤، ٢٠٠٧م.

- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، د. محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

- القرآن والمرأة، آمنة ودود، ترجمة: سامية عدنان، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٦م.

- الكتاب والقرآن، محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، سوريا- دمشق، ط١.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (الزمخشري) أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

- الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، د. فضل حسن عباس، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، بالأردن، ع٤، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- لسان العرب، (ابن منظور) محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ط٣، دار صادر، ١٤١٤هـ.

- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان عمر، ط٥، عالم الكتب، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- ما بعد الحداثة، د. باسم علي خريسان، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٦م.
- مجموع الفتاوى، (ابن تيمية) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ.
- المختصر في علم أصوات اللغة العربية - دراسة نظرية وتطبيقية، د. محمد حسن حسن جبل، ط٨، مكتبة الآداب- القاهرة، ١٤٣٥ه – ٢٠١٤م.
- المخالفة بين الأبنية للتفريق بين المعاني، د. عبد الكريم محمد حسن جبل، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٥م.
- مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٦م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- معاني القرآن وإعرابه، (الزجاج) أبو أسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٢م.
- معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، الناشر: دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، د. محمد داود، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًّا وتطبيقيًّا، د. محمد حسن جبل، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، (الراغب الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.

- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

- مقاييس اللغة، (ابن فارس) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، (السيوطي) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المحقق: التهامي الراجي الهاشمي، الناشر: مطبعة فضالة - بإشراف صندوق إحياء التراث الإسلامي، المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

- الموافقات، (الشاطبي) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- نافذة على الإسلام، محمد أركون، دار عطية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٦م.

- النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، د. قطب الريسوني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، الناشر: سينا، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

مواقع الإنترنت:

- الكفر بين وضوح الإسلام وتمويهات الحداثيين، إبراهيم بن محمد صدّيق، موقع حصين للأبحاث والدراسات.https://www.haseenkwt.com

- القراءة الحداثية للنصّ القرآني، فاطمة الزهراء الناصري، مقالة منشورة على موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية.https://tafsir.net

---

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:.....٣٦٥٩
مقدّمة.....٣٦٦٢
أهمية الموضوع:.....٣٦٦٢
أهداف الموضوع:.....٣٦٦٣
إشكالية البحث:.....٣٦٦٣
منهج البحث:.....٣٦٦٣
خطة البحث:.....٣٦٦٤
المبحث الأول: دلالة المفردة القرآنية.....٣٦٦٥
المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها.....٣٦٦٥
أولًا: الدلالة في اللغة:.....٣٦٦٥
ثانيًا: الدلالة اصطلاحًا:.....٣٦٦٥
أركان الدلالة:.....٣٦٦٦
ثالثًا: أنواع الدلالة:.....٣٦٦٦
١- الدلالة الصوتية:.....٣٦٦٦
٢- الدلالة الصرفية:.....٣٦٦٨
٣- الدلالة النحوية:.....٣٦٧١
٤- الدلالة المعجميّة:.....٣٦٧٤
٥- الدلالة السياقية:.....٣٦٧٥
المطلب الثاني: مفهوم المفردة القرآنية وخصائصها.....٣٦٧٦
أولًا: المفردة في اللغة:.....٣٦٧٦
ثانيًا: المفردة القرآنية اصطلاحًا:.....٣٦٧٦
ثالثا: خصائص المفردة القرآنية:.....٣٦٧٦
١- روعة المفردة القرآنية في نفسها:.....٣٦٧٧
٢- التناسب اللفظي والمعنوي:.....٣٦٧٨
٣- الجرس الصوتي:.....٣٦٧٨
٤- الدقة البيانية:.....٣٦٧٩
٥- التنوع الدلالي:.....٣٦٨٠
المبحث الثاني: منهج مفسري التراث في بيان دلالة المفردة القرآنية ٣٦٨٢
المطلب الأول: مدارس التفسير واتجاهات المفسرين.....٣٦٨٢
أولًا: مدارس التفسير:.....٣٦٨٢

١- مدرسة التفسير بالمنقول (المأثور):..... ٣٦٨٢
٢- مدرسة التفسير بالمعقول (الرأي):..... ٣٦٨٢
أ- غريب القرآن:..... ٣٦٨٣
ب- الوجوه والنظائر:..... ٣٦٨٤
ج- المؤتلف والمختلف:..... ٣٦٨٥
د- المصطلح القرآني:..... ٣٦٨٦
هـ - الفرائد:..... ٣٦٨٦
و- المعرب:..... ٣٦٨٧
ز- الحقيقة والمجاز:..... ٣٦٨٧
ثانيًا: اتجاهات المفسرين:..... ٣٦٨٩
المطلب الثاني: مهارات تحليل دلالة المفردة القرآنية..... ٣٦٩٠
المبحث الثالث: منهج أصحاب التأويل الحداثي..... ٣٦٩٢
المطلب الأول: مفهوم التأويل الحداثي ومرتكزاته..... ٣٦٩٢
أولًا: مفهوم الحداثة لغة واصطلاحًا:..... ٣٦٩٢
ثانيًا: مرتكزات المنهج الحداثي:..... ٣٦٩٥
١- هدم التراث التفسيري:..... ٣٦٩٥
٢- سيادة العقل:..... ٣٦٩٦
٣- نزع القداسة:..... ٣٦٩٦
٤- اختراق الثوابت والأصول:..... ٣٦٩٨
٥- طرح المنطق اللغوي:..... ٣٦٩٩
٦- لا نهائية المعنى:..... ٣٧٠٠
المطلب الثاني: أهم الانتقادات الموجهة إلى مدرسة الحداثة..... ٣٧٠٢
التأصيل اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردات:..... ٣٧١٣
أولًا: الإسلام في اللغة:..... ٣٧١٣
ثانيًا: الإيمان في اللغة:..... ٣٧١٤
ثالثًا: الكفر في اللغة:..... ٣٧١٤
الخاتمة..... ٣٧١٨
فهرس المصادر والمراجع..... ٣٧٢٠
فهرس الموضوعات..... ٣٧٢٧